

* الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية *



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم -



كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات الأدبية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في تخصص أدب حديث ومعاصر

الموسومة بـ:

صورة المرأة في رواية ذاكرة الجسد - لأحلام مستغانمي -

تحت إشراف:

الدكتور: المكروم سعيد

إعداد الطالبة:

فغول تواتية

أعضاء لجنة المناقشة

الصفة	لقب واسم الأستاذ	الرتبة	عن الجامعة
رئيسا			جامعة مستغانم
مقررًا		أستاذ محاضر - أ -	جامعة مستغانم
مناقشا			جامعة مستغانم

السنة الجامعية: 2019-2020

إهداء

إلى أمي نبع الحنان ومصدر سعادتني دواء كل سقم

إلى أبي الذي أنار دروب حياتي وكافح من أجل تعليمي

أهدي ثمرة جهدي هذا

إلى كل الإخوة: هواري، عبد العزيز، عبد الله بلقاسم، محمد

والى كل الأخوات: فاطمة، نوال،

والى كل أزواج أخواتي وزوجات إخوتي وأبنائهم،

إلى ابنة أخي رواء التي أتمنى لها النجاح حياتها الدراسية،

وإلى كل عائلتي الكبيرة وكل الأهل والأحباب والجيران والأصدقاء خاصة "زوبيدة وفوضيل"

وإلى كل من يحبهم قلبي ولم يخطهم قلبي إلى الأستاذ "مكروم سعيد"

مع كل تقديري واحترامي له وتمنياتي له بالصحة والعافية إلى كل من ساعدني من بعيد أو

قريب ولو بكلمة طيبة

وأسأل الله السداد في القول والإخلاص في العمل فهو مولانا ونعم الوكيل.

كلمة شكر

إذا كان ولا بد من الشكر

نشكر الله عز وجل الذي منحنا القدرة على البحث والاجتهاد وشكر جزييل
وامتنان إلى الأستاذ المشرف "مكروم سعيد" الذي أضاء لنا الطريق كلها

وإلى كل الذين كانت قلوبهم معنا في كل خطوة.

مقدمة

قد تكون صورة المرأة سلبية في المجتمع صورة سلبية لأن الرجل الذي سبقها إلى ممارسة نشاطه في المجالات الثقافية والاقتصادية لكن هذا لا يلغي صورة المرأة في الأسرة وما تتمتع به من قوة في تربية الأولاد. وإذا سلمنا في النسق السياسي ثابت في بعض اطرافه ومظاهره ومتغير في الموروثات الثقافية وتفعيل دورها بما ينسجم ويتوافق مع امال المجتمع الراهن وطموحاته، ويرمي بحثنا إلى تفعيل الموروث الثقافي من خلال دراسة صورة المرأة في الادب الجزائري. وان التناقض وحب التغيير في البحث على إطار يتماشى وموضوع المرأة والصراع القائم دائما من أجل التقدم والتطور ولعل الذي دفعنا بصفة عامة إلى اختيار هذا الموضوع راجع الى، -ان المرأة أصبحت في الآونة الأخيرة تضاهي الرجل في كل المجالات واقتحامها ميادين عدة وتحدي الصعوبات لكل تجلياتها - . ان هذا الموضوع القلة القليلة من تطرق اليه، كما لدينا رغبة جاححة للتعرف على هذا العالم الذي تغمره هذه المرأة - . ولهذا كانت مشكلة بحثنا في النقاط التالية: كيف كانت صورة المرأة في الادب الجزائري؟ وبعد البحث والانطلاق رأينا من المفيد أن نقسم بحثنا إلى ثلاثة فصول تسبقهم مقدمة وفصل تمهيدي وتلحقهم الخاتمة. وتناولنا في الفصل التمهيدي مفهوم الصورة (لغة واصطلاحاً)، المرأة والمجتمع، المرأة والنهج الدراسي لتعليم المرأة الجزائرية، وفي الفصل الاول صورة المرأة في الادب الجزائري من خلال الشعر والنثر، والثاني تطرقنا إلى صورة المرأة في رواية ذاكرة الجسد، وقد قسمنا إلى مبحثين، المبحث الأول تطرقنا فيه إلى جماليات رمزية للمرأة أما في المبحث الثاني توظيف التراث الشعبي، أما الفصل الثالث درسنا فيه جماليات الشخصية النسوية في الرواية، وهذا ما طرحناه في المباحث الثلاثة، المبحث الأول انواع الشخصيات حسب دراسة فليب هامون، والمبحث الثاني بنية الشخصيات في المكان الروائي، والمبحث الثالث في الزمن الروائيين وختمنا مذكرتنا بخاتمة كانت عبارة عن نتائج منتقاة من البحث .

والقيام بهذا العمل ليس بالأمر الهين بل اعترضته بعض الصعوبات، فقد واجهنا مشاكل عديدة أهمها الافتقار إلى المصادر والمراجع خاصة ويعود ذلك إلى حداثة الرواية والافتقار إلى الكتب التي تناو لها النقد والتحليل، باستثناء القليل من الصفحات المبتورة في المجالات التي لم تلقى

الغرض، وبالرغم من هذا فقد استأنسنا بعض الكتب للتدليل هذه الصعوبات من أهم ما استعنا به في هذا المجال ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، نظرية الرواية لعبد المالك مرتاض،* المرأة في الرواية الجزائرية*، مفقوعة* الشخصية في الرواية الجزائرية، ولا ندعي كمال البحث لأن الاهتمام لا يرحم باحث مبتدأ، فإن أصبنا من الله عز وجل وأن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان والكمال عز وجل .

المدخل

- ماهية الصورة - لغة، اصطلاحا -

- المرأة والمجتمع

- المرأة والدين

- المنهج الدراسي لتعليم المرأة الجزائرية

- دور المرأة والضمير الوطني

-الصورة اصطلاحاً: فعند القدامى يعرفها حازم القرطاجي فيقول:

"إن البلاغة أمور ذهنية محصولها صور تقع في الكلام بتنوع طرق التأليف في المعاني والالفاظ الدالة عليها..... فإذا عبر الشاعر عن تلك الصور الذهنية الحاصلة من الإدراك أقام المعبر به هيئة لتلك الصور الذهنية في إفهام السامعين واذهانهم فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ"¹ وهنا حازم القرطاجي عرفها من ناحية الصورة الذهنية ليستطيع السامع إدراكها وفهم دلالتها . ويعرفها الجاحظ في كتابه الحيوان وذلك بصناعة الشعر فيقول: "فإنما الشعر ضرب من النساء وجني من التصوير"².

وهو يعرف الصورة من منظور شعري حيث يرى الشعر صورة ويقصد به بطبيعة الحال الصورة الشعرية ومن المحدثين الذين عرفوا الصورة نجد عز الدين اسماعيل فيقول: "هي الشعر المستقر في الذاكرة..... وعندما تخرج هذه المشاعر إلى الضوء وتبحث عن جسم فإنها تأخذ مظهر الصورة في الشعر، أو الرسم أو النحت...." الصورة عنده بمثابة الشيء المخزن في الذاكرة وعندما تستدعي من قبل الشاعر أو الأديب تأخذ ذلك المظهر أي الصورة على اعتبار أنها كانت موجودة.

المرأة والمجتمع:

قد عاشت الأمة العربية مرحلة من التخلف والانحطاط في جميع الميادين سواء السياسية والاقتصادية أو الاجتماعية وهذا ما انعكس سلباً على الشعب العربي عموماً والمرأة خصوصاً، لكن هذا لا ينفي مشاركة المرأة في بناء وتأسيس المجتمع باعتبارها سمة ضرورية في التراث العربي والإسلامي. فالبطولات التي عرفت بها المرأة لا ينفىها التاريخ وقد شيعت عدة أخبار خاطئة عن المرأة العربية، إبرازها أنها لا تتعدى مجرد عنصر جامد لا نفعية منه بعيدة كل البعد كما يحدث في المجتمع، وعملها ينحصر في الإنجاب والقيام بالأعمال المنزلية في مجتمع يسوده التخلف والجهل .

¹ -حازم القرطاجي، مناهج اللقاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتاب الشرقية، تونس 1966، ص15-19.

² -عبد المجيد هيممة، الصور الفنية في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر "دراسة نقدية"، دار الهومة للنشر (د.ط)، 2005، ص57.

لكن التاريخ المعاش يثبتان عكس هذا الامر، فالمرأة برزت وبقوة إلى جانب أخيها الرجل في جميع الميادين، وعلى انقاض ذلك ظهر اعلام ومفكرين دعوا إلى النهوض بواقع المرأة وتعزيز مكانتها، ومن بين هؤلاء المفكرين نذكر: احمد فارس الشدياق، عبد الرحمان الكواكبي إذ أننا نجد فارس الشدياق دعا إلى تحرير المرأة وذلك بتعليمها، وقد قارن بين حياة المرأة الأوروبية والمرأة العربية وعن موقف الرجل اتجاه المرأة، فالتعليم يجعل المرأة أكثر إنسانية مما يدفعها إلى تكوين أسرة راقية.

لكن عبد الرحمان الكواكبي عالج أمر المرأة ودورها الفعال في التربية والمجتمع كما دعا إلى تحريرها من الجهل.

أما في مطلع القرن العشرين فقد تزايدت الدعوات إلى تحرير المرأة، فقد ربط قاسم امين ارتقاء المرأة وتقدمها ومدنيتها ضف إلى ذلك ربطه بين انحطاط المرأة وانحطاط المرأة المتوحشة، كما أبرز في معظم كتاباته الوضع المنحط والمتدني للمرأة نظرا لسيطرة الرجل عليها ويبين رفضه له. ويؤكد أن للنساء كامل الحرية مدنيا وقانونيا واجتماعيا واقتصاديا.¹

وقد توجهت الباحثة "ملك حقي ناصيف" إلى نقطة مهمة الا وهي أنه من الخطأ أن تصلح المرأة من خلال الأساليب التي جربتها المرأة الأوروبية داخل التطور الذاتي، فقضية المرأة بحاجة إلى عملية نقد اجتماعي للعادات والتقاليد وتربية المرأة وتعليمها واستصدار قوانين تخفف من ويلات الطلاق والزواج.²

فالمرأة العربية بهذا أصبح لها وجود بعدما كان منعدمة وأصبحت تقارن بنظيراتها الأوروبية فالدكتور "مصطفى الخشاب" يشير إلى تغيير وضعية المرأة في الأسرة بسبب الوضع الاجتماعي يؤدي إلى التمييز بين الأسرة الحديثة والأسرة القديمة، وقد ربط خروج المرأة للعمل بتطور المجتمعات وتقدمها، كما أشار إلى أهمية العلوم والتربية وبهذا تساهم المرأة في تطوير المجتمع بالإضافة إلى

¹-سليم ناصر بركات، مفهوم الحرية في الفكر العربي الحديث، مؤسسة الوحدة للصحافة والنشر والطباعة 1982، ص42.

²-اسيمة الدهان، المرأة والتنمية في الثمانينات في بحوث ودراسات، مجلد2، مؤتمر الإقليمي الثاني للمرأة في الخليج والجزيرة العربية، 28/31 مارس 1981، اعداد ونشر د. يحي فارس الحداد، الكويت، 1982، ص490.

صيانة الأسرة من الانحلال والفوضى وكدليل على ما قلناه سابقا نجد "محمد حسن هيكل" قد قدم لنا عملا تحت عنوان "زينب" هذه الرواية ظهرت لأول مرة عام 1913، وهي بقلم فلاح مصيري تناول فيها قضية المرأة الا وهي "زينب" واختار اسم المرأة كعنوان لروايته فزينب البطلة تفشل من الزواج ممن تحب حامد لأن طبيعة المجتمع تحرم وتعتب عار، فقد كتبت زينب نيرانه في جوفها وتركتها تحرقها إلى أن تزوج حامد بأخرى وخضعت هي لقانون المجتمع الذي يحتم أن يختار الوالدان زوجا لابنهما وكان كذلك، فالمرأة هنا لاخبار لها إلا خضوعها وقبولها دون رفض أو مناقشة.¹

كما أن هناك الكثير من الروايات التي لا تعد ولا تحصى تعالج المرأة من منظور اجتماعي وعلاقتها بهذا الاخير .

المرأة والدين:

إن دراسة أصول الشريعة الإسلامية تبرز تلك المكانة المالية التي تحتلها المرأة في هذا الدين والتي عملت ما في وسعها للمحافظة عليها، فأصبح للمرأة دورا جد هام بعدما كانت تعد شيء سلبيا قبل ظهور الاسلام .

لقد تبلورت شخصية المرأة العربية بشكل جديد مكنتها من رفع رأسها والسير مع أخيها الرجل جنبا إلى جنب إذ أصبح لها حقوق وواجبات مماثلة له تدافع عنها وتطالب وتعود نظرة الدين للمرأة بهذه الطريقة باعتبارها انسان موجود يحمل بداخله روح سامية مثل الرجل، فالرجل والمرأة سواء لا فرق بينهما حيث يقول عز وجل في كتابه العزيز الحكيم:

"هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا."²

العدالة الاجتماعية عملت على تحقيق المساواة بين الزوجين فالزوجة تعادل الزوج. كما كان لها نفس نصيب الرجل في المسؤولية والأجر والثواب والعمل.

¹-سمير ابو حمدان، النص المرصود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 (1410-1990) هـ ، ص35، ص140.

²-القران الكريم، سورة الاعراف، الآية 189.

"وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ
نَقِيرًا" ¹

وقد حظيت المرأة حفا وافرا في الحديث الشريف²، فقد كانت أما وزوجة ومجاهد في سبيل الله، وكان حق الوالدة للطاعة اوفر من حق الرجل، إذ روى البخاري أن رجلا جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله من أحق الناس بصحبتى؟ قال: أمك، قال: ثم من، قال: أمك، ثم من، قال: أمك، ثم من، قال: أمك، وفي الحديث: "الجنة تحت اقدام الامهات." وبهذا فالإسلام رفع قدر المرأة إلى أعلى المراتب وأبرز دورها الهام في المجتمع، واعطاها مكانتها اللائقة جنبا إلى جنب الرجل في مسار الحياة فوضع المرأة هو وضع الرجل فالمرأة مثل الرجل ثقة بالله وسلامة في الرأي وحسن في التدبير والقدرة على تحمل المشاق والصعاب حالها حال الرجل تماما .

أما في الروايات الجزائرية فإننا نلمح المرأة المتمسكة بدينها بشكل واضح ومن بين تلك الروايات نجد "فوضى الاشياء" لرشيد بوجدره .

إن الأم باعتبارها امرأة تعتبر محورا هاما في البحث الروائي عند بوجدره .
إن الأم باعتبارها امرأة تعتبر محورا هاما في البحث الروائي عند بوجدره، رغم غيابها عن الساحة فالحوار بين الراوي وأخيه خيرا، وقد كانت اعمال الأم تنحصر في الإنجاب والحيطة والطبخ، لكن هذه المرأة لم تكتف بهذه الأشياء فقط، بل إنها من ناحية فكرية تحب التصوف، تعجب بالحلاج وابن العربي ورابعة العدوية وغيرهم من المتصوفين.³

فقد أخذت الام رابعة العدوية نموذجا للحياة وفكرة في تخلص ذنبها بالزهد والتصرف وتمسكها برابعة كان في تمثيلها شعرها في الحب الإلهي هذا إن دل على شيء فإنما يدل على النزعة التصوفية لدى المرأة .

¹ -القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 124.

² -محمد سفوح الاخرص، المرأة والتحويلات الاقتصادية والاجتماعية، ط 1987، لدار طلاس للدراسات والترجمة، ص 37.

³ -بوجدره رشيدة فوضى الاشياء، ص92. نقلا عن المرأة في الرواية الجزائرية، ص297.

المنهج الدراسي لتعليم المرأة الجزائرية:

ينظر ابن باديس إلى تعليم المرأة الجزائرية بصفة خاصة وتعليم المرأة المنظمة بصفة عامة من زاوية نظرة الدين الاسلامي إليها وإلى طبقتها في المجتمع ودورها في الحياة لهذا فهو من دعاة تعليمها ولكن بشرط أن يكون هذا التعليم في دائرة المثل الدينية والقومية والأخلاقية والحشمة بحيث لا يعجل منها نصف رجل ولا نصف امرأة.

كتب في الشهاب تحت عنوان (المرأة) بشرح وظيفتها في الحياة وهي النسل وتربية الانسان والقيام بشؤون البيت فقال: " المرأة خلقت لحفظ النسل وتربية الانسان في أضعف اطواره وحمله وفصاله ثلاثون شهرا".

كما تطرق إلى الكلام عن المرأة الجزائرية بالذات فيوضح من هي؟ وما هو دورها المطلوب منها بالنسبة للأجيال القادمة؟ فيقول: " الجزائرية بدينها ولغتها وقوميتها، فعلينا أن نعرفها حقائق ذلك لا بد لنا اولادها منا ولما ويحفظون أمانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية ولا ينكرون اصلهم وان انكرهم العالم باسره، ولا يتنكرون للمتهم ولو تنكر لهم الناس أجمعين."¹

فابن باديس كما توضح هذه النصوص يؤكد كثيرا على وجوب تعليم تعليم المرأة لكن على أن يكون هذا التعليم فإنما على أساس الدين والقومية والأخلاق النسوية المحمودة إذن فالمرأة مثل الرجل لها كل الحق في التعليم والثقافة إلى أقصى ما تستطيع الوصول اليه²، بشرط أن يكون هذا التعليم كما قلنا لا يتعارض مع ديننا وقوميتنا، ومع الاخلاق النسوية الفاضلة هذا هو الشرط الذي يشترطه ابن باديس في تعليم المرأة المسلمة . يقول ابن باديس في مسألة تعليم المرأة الجزائرية تعليما قوميا وأثر ذلك في الأسرة وتكوين الرجال وهو بصدد الترجمة لحياة المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا، "البيت هو المدرسة الاولى والمصنع الاصلي لتكوين الرجال وتدين الام وهو أساس حفظ الدين والخلق، والضعف الذي نجده من ناحيتهما في رجالنا معظمه نشأ من

¹- تركي رابع، الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرعاية، الجزائر، 1985، ص 324-325 .

²- المرجع نفسه ص324.

عدم التربية الإسلامية في البيوت بسبب جهل الأمهات وقلة تدينهن . وقد كان ابن باديس شاعرا بخطورة تعليم المرأة الجزائرية تعليما أجنبيا خالصا يتفق مع أهداف السياسة الاستعمارية في الجزائر، ولذلك حاول أن يتدارك هذا النقص الخطير بواسطة جمعية التربية والتعليم الإسلامية التي أسسها في عام 1930، فقد وجه هذه الجمعية التي كان يتولى رئاستها إلى الغاية بتعليم البنات الجزائرية حسب فلسفة في تعليم المرأة التي شرحناها . يقول ابن باديس مشيدا بدور هذه الجمعية في تعليم الفتاة الجزائرية "من دواعي الاعجاب بهذه أنها صرفت عنايتها لتعليم الفتاة الجزائرية تعليما دينيا صحيحا يتفق وما تصبو إليه من اقتران ذلك التعليم بالحشمة والفضيلة والعفة والصيانة ومما يدل على أعمال هذه الجمعية الحازمة." مما يجعلنا نعتقد تسرب روحها الفياضة الى البلدان الأخرى- أن المدرسة منذ افتتاحها من أشهر قليلة تضم إلى أحضانها نحو 80 فتاة مثل هذا الإقبال يدل على أن الجزائر متاهبة إلى نقص تلك الأسماء من العرف الذي يوجب على الفتاة الجزائرية حرمانها من المعرفة والثقافة العلمية والدينية الصحيحة .

والواقع أن ابن باديس كان واعيا بأهمية تعليم الفتاة الجزائرية وأثر ذلك في مستقبل النهضة الجزائرية سواء من ناحية إعدادها علميا وخلقيا كي تكون إما صالحة وزوجة صالحة جديدة بالشباب المتعلم الذي يرفض القارات بالفتاة الجاهلة ويقبل التزوج بالمرأة الأجنبية على ما في هذا الزواج المختلط من خطورة على مستقبل الاولاد وكيان الأمة القومي والديني، ومن ناحية النظر إليها على أنها تكون نصف المجتمع وهي الوالدة للطفل، والحاضنة له ومربيته وبهذا الاعتبار فهي المدرسة الاولى في المجتمع بالنسبة للطفل وعلى مقدار ما تبذله من عناية في تربيته يتوقف مستقبله.

1- دور المرأة والضمير الوطني:

إذا كان الرجل هو الذي يقوم بالدور الرئيسي في قيادة معارك الثورة منه انطلاقا ويتحمل مشاق الجبال وعناء التنقل والترحال بينها، فإن مهام أخرى كانت بحاجة إلى أن تقوم بها المرأة، وبدون ثنائية هذا التعاون، لم تكن الثورة لتستطيع تحقيق أهدافها في المدى الذي رسمته لنفسها . فقد تحصلت المرأة الجزائرية في بداية انطلاق الثورة مسؤولية إدارة العائلة بعد رحيل الرجل إلى

الجبال وبسبب هذه المسؤولية تعرضت إلى الضربات العنيفة والى الترويع والتشريد ومع ذلك فقد صمدت المرأة صمودا عنيدا ودافعت بما امكن من الوسائل عن الغرض وشرف العائلة والقبيلة والقرية، وتعرضت المرأة إلى أبشع أنواع الاضطهاد والاعتصاب والقتل، وشاهدت بيتها يخرب ورأت أطفالها يعدمون امامها، وزوجها يؤتى به من السجون مشوه الملامح، ومع كل ما شاهدت ورأت لم تكن عزائمها بل واصلت نضالها بجرأة وثبات .

ثم جاءت مرحلة صعود المرأة إلى الجبال ومشاركتها الفعلية في المعارك المسلحة والتمريض والطبخ والقيام بدور الاتصال وتوزيع المنشورات السرية وقيادة الخلايا في المدن.¹ وان الدور الذي لعبته المرأة الجزائرية في حرب التحرير يسجل لها بفخر في سجل الكفاح الوطني، مما جعل بعض من اشتهرن من الأسماء وتعرضت للبحث والحكم بالإعدام فأصبحت المرأة الجزائرية مضرب المثل في البطولة .

وما اندلعت الثورة حتى رأينا المرأة الجزائرية تحتل مكانتها البارزة اولا في الدفاع عن الحمى ومشاركة الرجل في التفكير والتخطيط والدعم المعنوي والتحريض على الالتحاق بالجبل راضية بالوحدة مستحيلة أعباء البيت والأطفال ثم رأيناها تشد ازرها في الكفاح المسلح . لم تؤثر المرأة في ميزان القوة العسكرية والمعنوية فحسب بل كان لها تأثيرها الفكري على الرجل أيضا واقناعه بوجوب التحلي عن كل شيء والالتحاق بالجبل، لقد استطاعت أن تقتل في نفسها كل غرائز المرأة وتنتظاهر بالقوة وترضى بالوحدة على أن ترى زوجها يغدو ويروح عن المنزل، بينما يقوم الآخرون بدورهم الوطني في الثورة اعتقادا منها بأن المستقبل لها ولأبنائها الا بغياب الزوج من أجل تحرير الوطن، فقد كانت المرأة تفضل الوطن على نفسها.²

¹-المرجع السابق، ص 328-329.

²-محمد صالح الجابري، الادب الجزائري المعاصر، ط1، 1426-2005 للنشر والطباعة، دار الجبل، بيروت البوشرية، شارع الفردوس، ص175

الفصل الأول

صورة المرأة في الأدب الجزائري

المبحث الأول: صورة المرأة في الشعر الجزائري.

المبحث الثاني: صورة المرأة في النثر الجزائري.

المبحث الأول: صورة المرأة في الشعر الجزائري

كان حضور المرأة في الشعر الجزائري باهتا إلا في قلة قليلة من شعرائنا، وتصدرت قصائدهم عناوين مؤنثة مثل: "عمر بن قدور" في قصيدته "فتاة طرابلس الغرب" و"سعد الدين الخمار" "الفتى والفتاة"، وربما تألم بعض العلماء للحالة التي تردت فيها أوضاع المرأة الجزائرية، فحاولوا تحريرها لمفهوم الحديث وإنما الرجوع بها إلى مكانتها في حقوق الإناث سنة 1897.¹

الشعر هو أحق فنون التعبير بتمجيد البطولة وتخليد الأبطال لأنه يجمع على الأداء المجرد جموع الخيال وعمقه وقوة العاطفة وحرارتها.

1- المرأة الوطن:

هناك الكثير من شعرائنا الجزائريين من اتخذ المرأة كمركز الوطن والأرض والحرية المرتقبة فيقول: "محمد العيد آل خليفة"

أَيْنَ لَيْلَايَ أَيُّهَا
هَلْ قَضَتْ دِينَ مِنْ قَضَى
حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
فِي الْمُحِبِّينَ بَيْنَهَا
وَأَصَلْتُ الْقَلْبَ نَارَهَا
وَأَذَاقْتُهُ حِينَهَا²

وتشرب هذه النغمة نغمة الاحتفاء بالأنوثة إلى جل المتن الشعري المعاصر ولعلها أنوثة الوطن المسلوب أو المغلوب ويظهر في الكثير منها تجربة "محمد رتيلي" فيقول:

عَيْنَاكَ يَا حَبِيبَتِي تُعَذِّبُنِي
وَتَجْعَلَانِي أُعَشِّقُ الْإِنْسَانَ وَالْحَيَاةَ
وَأُعَشِّقُ الْوَطْنَ
وَأُعَشِّقُ التِّدِينَ حَطَّمُوا الطُّغَاةَ³

¹ - عبد الملك مرتاض، دراسة سمبائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي"، ديوان المطبوعات الجامعية (د.ط)، (د.ت) ص 170

² - المرجع نفسه، ص 170.

³ - عبد الحميد هيمة، الصورة الفنية في الخطاب الشعري المعاصر، دراسة نقدية، دار هومة للنشر (د.ط)، 2005 ص 35

والمرأة عند مفدي زكريا رمز الوطن واسم مستعار لمربع الصبا ومهوى قلبه الذي تيممه حب الجزائر، فأنساه كل حبيب وأشغله عن كل حين، فقد اتخذ لهذا الحبيب عدة أسماء مذهلة "ليل" حيث يقول:

الحُبُّ أَرْقى وَالْيَأْسُ أَضْنَانِي وَالْبَيْتُ ضَاعَفَ آلامِي وَأَحْزَانِي
وَالرُّوحُ فِي حُبِّ "لَيْلَاي" اسْتَحَالَ دَمْعٌ فَأَمْطَرَ شِعْرِي وَوَجْدَانِي

ونجد الشاعر "عثمان لوصيف" جسد المرأة كرمز الوطن فكتب قصيدته يعبر فيها عن حبه بل عشقه لوطنه الحبيب الجزائر فيقول:

امْرَأَةٌ تَتَزَيَّا بِكُلِّ الصِّفَاتِ
وَتَسْتَطِيعُ فِي سِحْرِ كُلِّ النِّسَاءِ الْحَسَانَ
كُلُّ يَوْمٍ أُطَارِدُهَا فِي الْمَدَائِنِ
فِي جِبَالٍ وَعَبْرَ الْفَلَاحِ
تَتَقَمَّصُ كُلَّ الرُّمُوزِ وَتَلْبَسُ كُلَّ الْمَعَانِ
آه... يَا الْمَرْأَةَ تَتَسَمَّى فَيَتَهَجُّ اللَّهُ
ثُمَّ تُرَدِّدُهَا الْكَائِنَاتُ
جَازَائِرِ
جَازَائِرِ¹

يقول: "محمد العيد آل خليفة":

لِمَاذَا أَعِيشُ؟
وَقَدْ كُنْتُ امْرَأَةً نَاهِيَةً
كَحُلْمٍ بِأَزْهَارِ الرَّاهِيَةِ

¹ -عثمان لوصيف، غرداية، دار هومة، الجزائر، ط1، 1997، ص79.

أَدَاعِيَهُ فِي رَوْضَةٍ فِي كُلِّ نُونٍ
وَأُنْشِدُ كُلَّ لَحْنٍ حَيْبٌ¹

فهذه صورة المرأة الفلسطينية، صورة تصور حالتها وبؤسها في حاضرها وتصور ماضيها الذي كانت تعيش فيه سعيدة في وطنها.
ويقول أيضا:

وَأَهْوَيْتَ بِالْفَأْسِ أَذْرُو الْجُدُوعِ
وَأَسْحَقُ بِالتَّغْلِ ثُعْبَانِيهِ²

فالمشاعر هنا يصور فلسطين في صورة امرأة تندب حظها الذي تنكر لها كما تنكر لها العرب الذين لم يحظوا سوى أن يرددوا الصلوات ويتغنوا بالأشعار والخطب.
ويقول "عبد الحميد بن هدوقة":

وَاسْتَمَرَّتِ الْأَغْنِيَةُ

نَفْسُ الْأَغْنِيَةِ

لِتَحْرِيرِ الْأُخْتِ الْعَرَبِيَّةِ

بِالْعُهُودِ

بِأَسْلِحَةِ عَادٍ وَثَمُودِ³

فالأخت العربية التي يتكلم عنها الشاعر، هي الطفلة هي المرأة، هي فلسطين الحلم المغتال، والمرأة المغتصبة، والأرض المستباحة، وعن الفتاة الفلسطينية العربية التي وعدّها بكل شيء جميل، ولكنها لم تجد إلا عدم الوفاء بالعهود، ولم تجد إلا الخذلان من طرف العرب، مشهرة وجهها كل أنواع الأسلحة، فالأخت العربية صورة لفلسطين الدولة المحتلة من طرف اليهود.

¹ -عبد الله الركبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، مطبعة القلم تونس، 1883، ص78

¹ -المرجع نفسه، ص157.

³ -زينب الأعوج: السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان بيروت، ط1، 1985، ص63

أما الشاعر رشيد زروقي، فالمرأة عنده صورة للجرح الذائع، الجرح الدامي الذي يلازمه، فهي الجرح الذي يعود به إلى الطفولة الضائعة، ذلك الجرح الناعم والعييف في الوقت نفسه الذي يتألم حتى الموت ولكنه لا يموت، أنها الحياة وواهبة الحياة، لكنها لا تحيا ولا تتمتع بهذه الحياة فيقول:

إِنَّكَ ذَلِكَ الْجُرْحُ

تِلْكَ الْحَيَاةُ الَّتِي تَنْطَفِي

قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَى الْهَدَفِ الْمَنْشُودِ¹

والغزل عند مفدي زكريا لم يكن غزلا ذاتيا يخاطب من خلاله المحبوبة، ولم تكن المرأة صورة للمحبوبة وللحرية فقط وإنما رمز مواز للثورة الجزائرية وللجزائر التي أحبها وهذه هي الجزائر، هي المرأة التي تغزل بها شاعرنا العظيم فيقول:

سَلَوَى، حَدِيثُكَ يَا سَلَوَى يُبَاغِمُنِي وَ الطَّرْفُ يَخْتَانُ لَا يَدْرِي بِهِ الْحَدَقُ

سَلَوَى أَنَادِيكَ سَلَوَى هَلْ تُجَاوِينِي سَلَوَى ؟ فَإِنَّ لِسَانِي بِاسْمِهَا ذَلِقُ

رُدِّي عَلَيَّ أَهْـأَزِيحِي مُوقِعَةَ فَقَدْ أَعَارِكُ وَزْنَا ، قَلْبِي الْخَفِيقُ²

لقد تفردت المرأة صورة عند كل شاعر، فمنهم من أعطاها صورة الحبيبة، صورة الوطن، الحرية، البطولة، وغيرها ولكن المرأة عند الشاعر عبد الحميد شكل صورة لكل شيء فما هو قد أصبح ضائعا منفيًا في وطنه لا شيء إلا أنه افتقدها فجعلها وطنه الذي تغنى به وفيه لأنها تركته وابتعدت عنه، يقول:

يَا وَطَنِي الَّذِي نُفَيْتُ عَنْهُ³

يَا وَطَنِي الَّذِي نُفَيْتُ فِيهِ

تَحْمِلُنِي مَرَاكِبُ مَا لَهَا شِرَاعُ

¹- المرجع السابق، 57

²- مفدي زكريا، اللهب المقدس، شاعر الثورة الجزائرية، ط4، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1883 ص26.

³- الوناس شعباني، تطور الشعب الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، (د.ط)، (د.ت)، ص107.

تُسَلِّمُنِي لَوْحَشَةِ الزَّمَانِ وَالضِّيَاعِ

2- المرأة المجاهدة المناضلة:

عندما نلقت إلى شخصية المرأة في بطولة الثورة وتحرير الوطن، نلتمس الدور الخطير الذي لعبته، نجدها صورة طبق الأصل للمرأة العربية الأصلية في أعماق تاريخنا العربي، فنجد الكثير من شعرائنا الجزائريين من تغنى ببطولاتها وتمجيد أعمالها وتخليدها في تاريخ الجزائر. فنجد من تغنى بالمرأة الثورية فجسدها في صورة عصفورة تنتقل من مكان لآخر لكي يرمز من خلالها للمرأة الفدائية المناضلة التي تهرب الأسلحة من مكان لآخر حيث يقول أحد الشعراء:

بَائِعَةُ الْأَعْمَارِ

فِي حَيِّ الزَّهْرِ

عُصْفُورَةٌ

دَوْمًا تَبِيضُ النَّارَ فِي حَيِّ التَّتْرِ¹

يقول "صالح باوية":

أَقْسَمْتُ أُمِّي، بِقَيْدِي، بِجُرُوحِي سَوْفَ لَنْ تَمْسَحَ مِنْ عَيْنِي دُمُوعِي

أَقْسَمْتُ أَنْ تَمْسَحَ الرَّشَاشَ وَالْمِدْفَعَ وَالْجِرْحَ بِمَنْدِيلِ دُمُوعِي²

فهذه الأم صورة فنية لكل الأمهات المجاهدين والشهداء اللواتي تخلين عن العواطف الذاتية اتجاه فلذات الأكباد المدللين عادة والارتفاع إلى الواجب الوطني المقدس والمشاركة الفعلية في أعمال الجهاد وتحرير البلاد، فهي صورة المرأة المضحية بأولادها من أجل وطنها، وهي تقسم بأنها لن تمسح دموع ابنها لأنها مشغولة عنه برعاية الأسلحة وتنظيفها فهي تمسح الرشاش بمنديل ابنها. ويقول أيضا:

¹ -عبد الحميد هيمة، الصورة الفنية في الخطاب الشعري المعاصر، ص36

² -الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، رئيس التحرير الدكتور- صالح خربي، ع: 16 رجب- شعبان 1393هـ، أوت-سبتمبر 1973، ص40

يا فتاتي، فَجَرِي أَعْمَاقَنَا عَبْرَ الدِّيَاغِي، نَحْنُ كَوْنٌ وَجَزَائِر
يا فتاتي، فَضْفِضِي أَصْدَافَنَا فَاسْرِي فِي أَعْمَاقِهَا صَحِّ وَثَائِر
جَمِيعِي أَشْلَانِنَا لِلنَّجْمِ تَسْقِيهِ ضِيَاءً، فَيَرَى الدُّنْيَا الْجَزَائِر¹

فقول الشاعر (يا فتاتي) ليس مقصود به هو الفتاة أو امرأة، وإنما هي الثورة القادرة على أن تجعل من السماء انعكاس للأرض المتفجرة نورا وإشراقا، ومن نجومها انعكاسا للأشياء المبعثرة هنا وهناك.

ونجد "مفدي زكريا" في "إلياذة الجزائر" يصور المرأة في صورة البطلة المجاهدة "لالة فاطمة" بطلة جرجرة التي كانت تسير الثورة في جبال جرجرة، أولا مع زوجها ثم بمفردها. فهو يصور البطلة التي ألهبت النار وأذابت الثلوج وعصفت بالاستعمار الذي صمدت في مقاومته من سنة 1856 إلى 1857، يقول:

وتَذْكُرُ ثَوْرَتُنَا الْعَارِمَةَ	بُطُولَاتِ سَيِّدَتِي فَاطِمَةَ
يُفَجِّرُ بُرْكَانَهَا جُرْجُرًا	فَتَرْجِفُ بَارِيسُ وَالْعَاصِمَةَ
وَحَلَدَ بِاسْمِ أُمِّهَا ذِكْرَهُ	فَزَكَّى قَدَاسَتَهُ الدَّائِمَةَ
وَفَارَتْ دِمَاءُ بَنِي رَاتِن	تَفْدِي قَرَارَاتَهُ الْحَاسِمَةَ
نُسُومِرُ مُدَّ نَسْبُوكِ لِتَاكُلَا	رَفَضَتْ التَّوَاكُلَ يَا فَاطِمَةَ ²

لا يمكن أن ننسى لفاطمة دورها الفعال في الثورة حتي يقول "مفدي زكريا":

أَتَنْسَى الْجَزَائِرُ حَوَاءَهَا ؟
وَأَمْجَادُهَا لَمْ تَزَلْ قَائِمَةً؟³
شَعَلْنَا الْوَرَى وَمَلَأْنَا الدُّنَا

¹-المرجع نفسه، ص40

²-مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1987، ص57.

³-المصدر نفسه، ص57.

بِشْعَرٍ نُرْتَلُهُ كَالصَّلَاةِ

تَسَابِيحُهُ مِنْ حَنَايَا الْجَزَائِرِ

ويقول "صالح خرفي خباشري" مصورا بطولة المرأة الجزائرية التي زحفت إلى جبال الأوراس، حيث أحاها:

وَفِي (الْأُورَاسِ) رَاعَتْني اللُّوَاتِي زَحَفَتْ مَعَ الْبَوَاسِلِ أَيَا زَحَفِ

تَخَرُّ لَهَا الْأَعَادِي وَهِيَ غَضْبِي وَقَدْ تُشْفِي الْجَرِيحَ بِلَمْسِ كَفِّ¹

فهذه المرأة التي زحفت غلة جبال الأوراس ممرضة تعالج المجاهدين الجراح وتسهر على راحتهم.

أما "صالح خرفي"، فيصور لنا المجاهدة البطلة "جميلة بوحيرد" في أسلوب إيحائي في قصيدته "استريحي يا جميلة" فالشاعر يقدم لنا فكرة الموت تمنها البطلة، ويهدف بهذا المعنى إلى أن البطلة لا تهتم بالحياة، فجميلة بنت مجدا تجاوز نطاق العمر الضيق، أما الموت بمفهومه الشكلي فقد ذاقته مرار وفي هذا يقول:

مَا هُوَ الْمَوْتُ؟ وَقَدْ جَرَعْتِهِ دُنْيَا طَوِيلَةً؟

أ هُوَ الْعَفْوَةُ فِي نَوْمَةٍ عَزَّ مُسْتَطِيلَةً؟

أ هُوَ الْيَقْظَةُ فِي خُلْدٍ كَأَخْلَامِ الطُّفُولَةِ؟

أ هُوَ الْهَرَّةُ تَهْوِي بِالتَّمَائِيلِ الدَّخِيلَةِ؟

أ هُوَ الْفَرْحَةُ تَسْرِي بَيْنَ شَرَايِينِ الْبُطُولَةِ؟

إِنْ يُكُنْ مَوْتُكَ هَذَا فَاطْلُبِيهِ يَا "جَمِيلَةَ"؟²

فالشاعر يعلم "جميلة" تمت الموت وهو غير مجيب لا يلبي نداها أما "صالح الباوية" فجميلة عنده صورة لمعنى عربي لم تصوره حكاية، يقول:

¹-مغدي زكريا، إلبادة الجزائر، ص108.

²-مجلة الثقافة، ع: 16، رجب شعبان 1393هـ، أوت، سبتمبر 1973، ص45.

يَا جَمِيلَةَ

أَنْتِ مَعْنَى عَرَبِيٍّ، لَمْ تُصَوِّرْهُ حِكَايَةَ

لَيْسَ فِي أَعْمَاقِهِ لَوْ نُ نِهَائَةَ

أَنْتِ مَعْنَى عَرَبِيٍّ، يُرْضِعُ الْإِنْسَانَ أَسْرَارَ

الْبَقَاءِ

يُشَرِّدُ التَّارِيخُ أَعْمَاقَهُ حِينَ تُنَادِينَا

إِلَى تَارِ اللِّقَاءِ¹

ويقول الشاعر "مفدي زكريا" في شأن المرأة الثائرة الجندية في جيش التحرير الممرضة في المغاور والكهوف المقدمة على المخاطر فيقول:

كَاللَّبُؤَاتِ تَسْتَفِرُّ الْجُودَا

وَصَبَايَا مُخَدَّرَاتٍ تَبَارَى

وَمَدَّتْ مَعَاصِمًا وَزُنُودَا

شَارَكْتَ فِي الْجِهَادِ آدَمَ حَوَا هُ

دُنَّ وَفِي الْحَرْبِ غُصْنَهَا الْأُمْلُودَا²

أَعْمَلْتَ فِي الْجِرَاحِ أَنْمَلَهَا اللَّـ

فالشاعر صورها في عدة صور من خلال هذه الأبيات فأعطاهها صورة الجندية الثائرة المعتزة ببطولاتها التي تخترق الصفوف، صورة الممرضة التي تداوي الجراح المقدمة على المخاطر بصعود الجبال ومشاركة الرجال في النضال.

أَنَا بِنْتُ الْعَرَبِ³

أَنَا بِنْتُ الْجَزَائِرِ

ويقول:

وَ دَعَى لِلْكَفَاحِ

يَوْمَ نَادَى الْمُنَادِي

وَعَدَوْتُ الْجَنَاحِ

فُمْتُ أَحْمِي بِلَادِي

وَأَدَاوِي الْجِرَاحِ

أَنْبَرِي وَلَا عَادِي

¹-المرجع السابق، ص45.

²-مجلة الثقافة، ص44.

³-مفدي زكريا، اللهب المقدس، شاعر الثورة الجزائرية، ص93.

فهذه البنت صورة لصمود المرأة الجزائرية وتحديها لقطرسة الفرنسيين، فهي تمثل إسهامات المرأة في الثورة الجزائرية.

فِي صُفُوفِ الْقِتَالِ أَنَا أُلْهَبُ نَارًا
مِنْ أَعَالِي الْجِبَالِ أَنَا أَدْعُوا الْبِدَارَا
وَتَرَكْتُ الرِّجَالَ فِي جِهَادِي حِيَارَا¹

فكان منها المجاهدة في صفوف القتال في أعالي الجبال، وكان منها الممرضة التي تداوي الجرحى، وكان منها الفدائية فهذه البنت صورة للدور البطولي الذي قامت به المرأة الجزائرية خلال الثورة.

3- المرأة الحربية والمرأة الحبيبة:

ففي العشرينات ظهرت دعوة حارة للنهوض بالمرأة وتجلت على ألسنة الشعراء في صورة مثالية، وهي أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع، ونلمس ملامح هذه الصورة المتخيلة للمرأة الجزائرية في ظل النهضة العلمية حيث يقول "محمد المهادي السنونسي":

وَمَشَتْ تُجَدِّدُ لِلْبَنَاتِ مَوَدَّةً نَحْوَ الْبَنِينَ الطَّالِبِينَ صُعُودًا
بِنْتُ تَمَّتْ إِلَى الْعُرُوبَةِ نِسْبَةً حَسَنَاءُ تَخْجَلُ فِي الْجَمَالِ الْغَيْدَا
نَاشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ الَّتِي فِي الْكُتُبِ مَجْدُ ذِكْرِهَا تَمَجِيدًا²

وتقول "أحلام مستغانمي":

رَفُضْتَنِي...

عَلَامَ يَا أُمَّاهُ؟؟

أَنْكَرْتِ وَجْهِي الْجَدِيدِ فِي اغْتِرَابِ

لَعْنَتِي

¹-الوناس شعباني، تطور شعر الجزائري، ص106.

²-صالح خرفي الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، مطابع الشروق، بيروت، لبنان،(د.ت) 1984، ص169.

أَغْلَقْتِ كُلَّ بَابٍ

عَالَمٍ يَا أُمِّي زَيَّفْتِ لِي الْأَحْلَامَ وَالطُّفُولَةَ

صَبَرْتِ مِنِّي طِفْلَةً

تَبَحْتُ عَنِ الْأُمُومَةِ¹

فهي تصور حركة نمو الأفكار عند المرأة الجزائرية، هذه الأبيات تعتبر تعبيراً صادقاً عن انفعالاتها وطموحها إلى وضع أفضل. فالشاعرة ترفض ذهنية إقصاء المرأة وتنجح بشدة على واقع الشباب والجمود الواقع الذي يبه التسلط والعبودية.

ويقول "مفدي زكريا" في قصيدته "بنت الجزائر":

وَرُبَّ نَجْوَى كَدُنْيَا الْحُبِّ الدَّافِئَةِ قَدْ نَامَ عَنْهَا رَقِيبِي لَيْسَ يَسْتَرِقُ

عَادَتْ بِهَا الرُّوحُ مِنْ (سَلْوَى) مُعْطَرَةً فَالسَّجْنُ مِنْ ذِكْرِ (سَلْوَى) كُلهُ عِبْقُ²

فسلوى هنا هي صورة المرأة الحبيبة، حبيبة مفدي التي فرقت بينهما الظروف التي كتب لها هذه الأبيات وهو وراء قضبان السجن.

وسلوى مرت تغدو في صورة محبوبية بشرية (امرأة) ومرة تغدو صورة ورمز للحرية:

سَلْوَى أَنَادِيكَ سَلْوَى مِثْلَهُمْ خَطَا لَوْ أَنَّهُمْ أَنْصَفُوا كَانَ إِسْمُكَ الرَّمَقِ

سَلْوَى أَنَادِيكَ هَلْ تُجَاوِبِينِي سَلْوَى؟ فَإِنَّ لِسَانِي بِاسْمِهَا ذَلِقَ

يَا لَائِمِي فِي هَوَاهَا إِنَّهَا قَبَسٌ مِنْ الْجَزَائِرِ وَالْأَمْثَالُ تَنْطَبِقُ³

¹-المرجع السابق، ص173.

²-الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980، ديوان مطبوعات الجامعية، الجزائر(د.ت)،(د.ط)، ص115

³-المرجع السابق، ص115.

وما هو الشاعر "محمد الأخضر السائحي" يصور لنا في قصيدته "قصة نائرة" وهي قصيدة طويلة، المرأة الجزائرية التي لا تتردد في أن تدعو زوجها إلى مغامرة البيت ليقاتل من أجل الحرية، وأنها تفضل الموت على حياة العبودية فيقول:

لَسْتُ أَنْسَى حَدِيثَهَا قَبْلَ شَهْرٍ
عِنْدَمَا سِيقَ جَارِنَا بَاتَ الْفَجْرِ
"لِمَتَى أَنْتَ هَا هُنَا؟" غَمَمَتْهَا
فِي حَيَاءٍ وَرَدَّتْهَا بِدُغْرِ
"أَنْزُكُ دَارَكَ لَا تُعْدُ غَيْرَ حُرٍّ"
سَوْفَ نَحْيَا مِنْ جَدِيدٍ
أَنَا لَا أَخْشَى أَنْ أَمُوتَ وَطِفْلِي
عِشْ عَيْشَنَا فِي أَشْقَاءَ غَيْرِ حَمِيدٍ¹

ونجد من حاول تجسيد صورة المرأة للتعبير عن تجاربه العاطفية، وهذا عند "أبو القاسم خمار" وغيره حيث يقول:

وَخَافِقِي فَرَاشَةَ طَلِيقَةَ
تَهِيمُ فِي الْحَدِيقَةِ
تَحْفُهَا الزُّهُورُ وَالظَّلَالُ وَالْجَدَاوُلُ²

ولقد كانت المرأة موضوع الحب والغزل في القصيدة العربية، فقط اطلعتنا على نوعين: غزل فاحش صريح، وغزل عذري عفيف، هذا الأخير الذي كان إرهاسا ومدخلا لرمز المرأة في الشعر الصوفي والذي ترجع بواكيره حسب ما تناقله الرواة وإلى "قيس بن الملوح" هاما في تجارب الشعراء الذي لا يتردد عندهم بالصور المادية والمحسوسة فحسب، ولكنه يتحول إلى رمز له دلالات شتى كقول: "الشارف عامر":

عَيْنَاكِ أَنْقَصَتَا قَلْبِي بِلَا وَتَرٍ
عَيْنَاكِ أَسْكَرَتَا بِالشَّعْرِ أَغْصَابِي
عَيْنَاكِ شَوَّهَتَا حُلْمِي بِذَاكَرَتِي

¹-الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري، ص109.

²-المرجع السابق، 45.

بَلْ تَاهَتَا شَرَهَا بِالسُّنْدُسِ الصَّابِي¹

فالشاعر باحتفائه بالمرأة ينفصل عن العالم الأرضي (المادي) ويتعلق بفردوس الأنوثة بالعالم اللارمزي، فتأخذ المرأة بعدا جديدا إذا تتجرد من لباسها الظاهري لتلبس بعلاقات وأشكال متعددة، فهي في النص تعطي صورة الحلم الواعد والتوحد المطلق والسمو على الواقع (بعد الباطن لامرئي).

ويقول الشاعر "البدوي بن قيطون" في قصيدته "حيزية":

عَزُونِي يَا مَلَاخَ فِي رَائِسِ الْبِنَاتِ

سَكُنْتُ تَحْتَ اللَّحُودِ نَارِي مَقْدِيَا

قَلْبِي سَافِرَ مَعَ الصَّامِرِ حَيْزِيَا

حَسْرَاهُ عَلَى قَبِيلِ كُنَّا فِي تَاوِيلِ

كِي نَوَّارِ الْعَطِيلِ شَاوُنْ نَقْضِيَا²

فحيزية صورة للحب المستحيل ابنة أحد وجهاء القوم وأحبت راعيا فقيرا، فهي تذكرني بالحب العذري الذي مثله جميل بثينة ومجنون ليلي وشعراء كثر وغيرهم من الشعراء العذريين. وهذه صورة أخرى للمرأة الجزائرية التي برهنت عن شرفها العربي وأبت أن تستسلم للوحوش الكاسرة، يقول "أبو القاسم خمار" في قصيدته "ولد المجد":

هَلْ سَمِعْتُمْ حِكَايَةَ الْعُبُودِيَّةِ ؟

عَنْ بَنَاتِ الْأُورَاسِ أَرْضِ الْحَمِيَّةِ

هَلْ سَمِعْتُمْ حِكَايَةَ الْعُبُودِيَّةِ ؟

عَنْ بَنَاتِ الْأُورَاسِ أَرْضِ الْحَمِيَّةِ

عِنْدَمَا هَاجَمَ الطُّغَاةُ حِمَاهَا

وَأَرَوْا أَهْلَهَا الضَّنِّيَّ وَالْبَلِيَّةِ

قَتَلُوا أُمَّهَا وَزَادُوا أَبَاهَا

وَأَخَاهَا وَأَبَقُوا الْبِنْتَ حَيًّا

¹ -عبد الحميد هيمة، البنيات الأسلوبية يف الشعر الجزائري المعاصر، ص113- نقلا عن ديوان الظمأ العاتمي منشورات رابطة الإبداع، ص47.

² -رابح خلدوسي، حيزية، مع قصائد وقصص أخرى، نماذج من روائع العرب، المؤسسة الثقافية للتأليف والنشر الجزائر، (د.ط)، 1993، ص10.

وَأَرَادُوا إِذْ لَهَا فَاسْتَمَاتَتْ وَأَبَتْ أَنْ تُسَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ¹

ونجد أيضا صالح باوية البطلة "جميلة بوخيرد" عنده صورة لمعنى غربي لم تصوره حكاية حيث يقول:

يَا جَمِيلَةَ

أَنْتِ مَعْنَى عَرَبِيٍّ، لَمْ تُصَوِّرْهُ حِكَايَةَ

لَيْسَ فِي أَعْمَاقِهِ لَوْنُ نَهَائِيَّةِ

أَنْتِ مَعْنَى عَرَبِيٍّ، يُرْضِعُ الْإِنْسَانَ أَسْرَارَ²

وأخيرا فإن معظم شعرائنا نظروا إلى المرأة نظرة إجلال وتقدير وسمو بصورتها إلى أبعد الحدود حيث جسدها في مظاهر عدة وصور مختلفة فهي رمز للحب وللوطن وللحرية والأخت المثابرة التي تواجه الصعوبات والمخاطر.

وبعد رصدنا صورة المرأة لدى بعض الشعراء الجزائريين نتطرق الآن إلى صورة المرأة في النثر الجزائري.

¹-الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري، ص107.

²المجلة الثقافية، ص45.

المبحث الثاني: صورة المرأة في النشر الجزائري

إن موضوع المرأة في النشر الجزائري ليس تصوير مادي فقط، وليس كذلك تصوير سلمي كما أنها ليست صورة للمخادع أو الخادمة من أجل الرجل، وإنما صورة للوطن، إذ تمثل صورة المرأة الصديقة والحبيبة والزوجة والأم والأخت.¹

إذا فالمرأة تمثل شريحة تجسد قضية وتعكس المسار الفكري والسياسي.²

وتمثل قضايا المجتمع بكل مستوياته ونماذجه ويعد النشر الجزائري بما فيه القصة والمسرحية والرواية الفن الذي يقدم وينقل التجربة الإنسانية من خلال تصويرها بمجموعة من الشخصيات في الواقع وأغنى دلالة لتحديد موقف الأديب منه.

¹ روجر آلن، الرواية العربية، مقدمة تاريخية نقدية، ترجمة قصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، (د.ط)، 1997، 07.

² - طه وادي، صورة المرأة في الرواية العربية، دار المعارف، ط4، 1994، ص28.

1- القصة:

هذا الجنس الأدبي الذي يهتم بتصوير واقع المرأة أيما اهتمام ولكن من الصعب أن نعترض في عرض كهذا على كل الإنتاج القصصي، وغنما سنكتفي بعرض بعض النماذج القصصية التي تعطينا فكرة عن المرأة وصراعاتها من أحجل التقدم ورفضها لمنطق الوصاية أو وقوفها ضد العادات والتقاليد فنجد مثلا مجموعة "الرصيف النائم" فهي تدور حول الثورة لكنها تركز على دور المرأة فيها.

المرأة زوجة أو أما... مثقفة أو أمية... المرأة في الريف أو في الحضر جنديّة في جيش التحرير أو مسؤولة في جيش التحرير¹

كما نجد "أبو العيد دودو" في مجموعته القصصية "بحيرة الزيتون" بالرغم من أنها ذات طابع ثوري إلا أنها لم تخلو كليا من تصوير لواقع المرأة الجزائرية الثورية بصفة خاصة، والقصة التي عنون بها الكاتب هذه المجموعة تصور شيخا كرس حياته لمواساة المواطنين أثناء الثورة ثم شخصية الأم تلك المرأة المثابرة الصبورة والقوية التي فرحت بانضمام ولدها للثورة، ورغم مرضها فإنها كانت سعيدة وفخورة بابنها.²

هذه هي صورة المرأة الثورية المناضلة.

أما "عبد الرحمن ماضي" في قصة "ومضة خاطفة" حاول أن يصور لنا بعض الجوانب السلبية للمرأة، فهذه القصة تدور حول شاب جزائري يترك القرية هاربا من البطولة إلى المدينة لعله يجد عملا وهناك يلتقي بامرأة فرنسية تبلي نحوه عطفًا كاذبا فيقبل العمل عندها كأجير ولكنه في النهاية اكتشف حقيقة المرأة والقصة فيها رمز للاستعمار بهذه المرأة الفرنسية والشعب الجزائري الذي يمثله هذا الشاب الطيب الكادح ومن خلال هاذين الرمزين تبرز قضايا كثيرة مثل نفسية

¹-عبدالله الركبي، تظر النشر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (د.ط)، 1978، ص180.

²-المرجع نفسه، ص180.

المرأة الشريرة إلى لا يهمها إلا الربح والرخاء المادي، ونفسية هذا الشاب الذي تشغله هذه المرأة ولا تشفق عليه.¹

إضافة إلى القصص التي تدور حول الحب وتعالج الرجل بالمرأة وما إلى ذلك من الموضوعات التي عاجلتها الصورة القصصية، إذ لا نجد فيها ما يميزها عن السابق من حيث رسم الشخصية وأبعادها المختلفة وإنما هي أشبه ما تكون بحكايات تتحدث عن حب نشأ بين شاب وزميلته في العمل كليهما خجول ومن أسرة محافظة فتقوم زميلة بينهما بدور الوسيط ويتزوجان في النهاية كما في قصة "وفي الصمت أشياء".²

ولعل قصة "الثوب الأبيض" لزهور الونيسي هي أكثر القصص تعبيراً عن هذا الاتجاه حيث تعالج فيها وضع المرأة التي تجبر على الزواج المبكر من شخص لا تعرفه ولا يتناسب معها وهكذا الضغوطات المفروضة على هذه الفتاة حين حرمت من التعليم والفكرة المحورية تتحدث عن سيطرة الرجل زوجاً أو أباً. وتمتاز بأنها تصويراً لما يتأمل في نفسية هذه الفتاة التي أرغمت على الزواج وترك العلم وتصل بهذه الموضوعات القديمة الحديث عن امرأة الأدب القاسية التي تضطهد أبناء زوجها³...

كما نجد أيضاً السيدة "زهور الونيسي" قد أعطت صورة سابقة عن المرأة الجزائرية في تأخرها وقسوة المجتمع عليها وتطلعها إلى حياة أفضل وأكرم حين يتاح لها الحظ من الثقافة، ويتلاقى مع السيدة "الونيسي زهور" في هذه المحاولة "رضا حوحو" في قصته (صاحبة الوحي).⁴ ففي هذه القصة يجعل "حوحو" الحب مصدر الإلهام والوحي لصديق له من الشعراء، كان يجتمع به في مقهى كل يوم يسمعه منه ما ألهمته حبيبته من أشعار جميلة يصور فيها عواطفه المضطربة، ويص من خلال حبه لها جمال الحياة وسرها ولكن ذلك صديق الذي يستلهم فتاة

¹ -عبد الرقيب، المرجع السابق، ص184.

² -المرجع السابق، ص187.

³ -عبد الله الرقيب، تطور النثر الجزائري الحديث، ص188.

⁴ -أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الآداب، ط2، كانون الثاني (يناير) 1997 ص62.

حسناً في قول الشعر يدرك أن تلك الفتاة- هي صاحبة الوحي التي كانت توحى إليهم- أصبحت بشراً من الناس فيها ما فيهم من الرذائل، فقد كانت تلك فتاة اللعوب تلهو بذلك الشاعر الساذج الذي كان يؤمن بالحب الروحي أو العذري.¹

كما نجد "أحمد بن عاشو" يعالج في قصته "عانس تشكو" موضوعاً اجتماعياً يعتبر جديداً حقاً فقد عرض فيه الكاتب لفلاح بلغت ابنته "بيلي" سن الزواج ولكن الأب كان يصرف المختطفين الراغبين، على أمل أن يعثر على بعل موسر لابنته فينقذها من الفقر. وأم ليلي ذاتها كانت تبحث عن زوج ذو أم طيبة، حتى لا تؤذي ابنتها فيؤدي ذلك إلى الطلاق أو الفراق.

ولا يكاد الكاتب يصل من أقصوصته إلى هذا الموقف حتى يغير اتجاهها ليعالج مشكلة اجتماعية أخرى، وهي غير الحماة (من كل غانية يتزوجها ولدها، فتسيء إليها وأخيراً تجبره على الطلاق).²

"عبد الحميد بن هدوقة": قصة "الأم"، لعل من الواضح أن تكون الأم هنا هي الجزائر لكنها ليست هذه الجزائر ذات الجغرافيا التي لا تنطق ولكنها هذه الجزائر التي تمثل رمزا أسمياً وأعظماً، إنها الجزائر التي تمثل بكل مواطن محب لأرضه الطيبة التي سقط عليها أول عهده بالحياة.

ف نجد الجزائر التي تمثل "عبد الحميد بن هدوقة" هنا في صورة فتاة حسناء، فهذه الفتاة التي تمثل صورة الجزائر تتسم ملامحها بالجمال والكمال بما فيها من عزة وكبرياء فهذه الفتاة تجمع بين الجمال الجسمي وهي صورة مرئية محسوسة، والجمال الروحي وتلك أعلى صفات الجمال العبقري.

¹ -عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، 1931-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر(د.ط)، 1983، ص176.

² -المرجع السابق، ص178..

ونحن نعلم أن المبدعين من الأدباء الجزائريين ومنهم "ابن هدوقة" الذي أغنت نفسه وقلمه في تمجيد الجبال وتأمله والتشبع بقيم فكان إذن، أن تظفي صفة الجمال العظيم على الوطن المؤنث، فإذا هو فتاة، كما سلف القول توصف بالحسن والجمال والحق أن تمثل الجزائر فتاة حسناء.¹

أما في قصة "الحلم الضائع" التي تصور لنا واقع فتاة حلمها الوحيد أن تذهب إلى المدرسة ولكن الواقع الذي تعيشه من إهمال والدها وقسوة زوجته عليها واضطرابها للعمل كخادمة لدى صاحب مقهى هو الآخر غليظ القلب، وهذا الواقع يمنعها من تحقيق حلمها.²

وهناك العديد من هذه القصص التي لا نستطيع رصدها كلياً ومثال ذلك قصة "عرجونة" "لزوليخة السعودي" حيث تصور واقع المرأة استشهد زوجها فتزوجت بخائن نتيجة اختلاط القيم وتغييرها بعد استقلال حيث أصبح الناس يبحثون عن السيارات والفيئات حتى أن هذه المرأة أصبحت لا تفرق بين الخائن للوطن والمخلص له ولهذا تزوجت الذي باع وطنه في يوم من الأيام.³

في المقابل نجد بعض القصاصين من حاول تصوير المرأة تصويراً حسياً حيث يهتمون بالأعضاء الشخصية والملامح الحسية وهذا ما نجده تماماً عند "أبو العيد دودو" الذي يهتم فيما يتعلق بالمرأة بملامح الوجه، والقوام والإستقامة والشعر ونرى ذلك في وصف سيدة روسية في قصة "الأميرة وماسح الاحذية" فيقول: "وكانت العجوز أميرة روسية في حولي الخمسين من عمرها حاولت جهدها أن تخفي سنواتها تحت ستار من مساحيق كثيفة، رشيقة القوام، شقراء الشعر، كانت ضفائرها مقصوفة تجعل المرء يتصورها، إن هو رآها من خلف ابنة في ربيعها العشرين وكانت ترتدي فستاناً بلون عيناها...⁴

¹ -د. عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د.ط)، 2004 ص78-79.

² -عبد الله الركبي، تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (د.ط)، 1978، ص188.

³ -المرجع نفسه، ص191.

⁴ -محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1983، ص68.

2- المسرحية:

إن الأدب المسرحي في الجزائر نشط نشاطا ملحوظا ووصل إلى حد يمكن أن يعتبر نوعا من الإزدهار، فقد عالج الكتاب المسرحيون كل الموضوعات التي كانت تشغل أذهانهم، مما في ذلك موضوع المرأة الجزائرية، وسنعترض لبعض النماذج التي فكرة عن المرأة وواقعها المعاش.¹

ف نجد على سبيل المثال مسرحية "يوغرطة" "لعبد الرحمن الماضوي" التي تعالج قضايا تاريخية إلا أنها لم تخلو من توظيف المرأة التي استخدمت كرمز لأفريقيا، حيث كانت باستمرار تمثل الأمل بالنسبة للمستقبل وتظهر الشجاعة في الأوقات الحرجة وتحث زوجها على المقاومة.²

ويتضح هذا في الحوار الذي يجري بين البطل وزوجته:

يوغرطة: فتاة إفريقية تبكين، سعادتك، وأولادك وشبابك وأفريقيا على حافة النهر.
رنيدة: روما قوية.

يوغرطة: افريقية باقية.

رنيدة: إذن، ولنستعد للحرب.

يوغرطة: (بابتهاج) حييت يا بنت البلاد.³

وإذن وظفت المرأة في المسرحية التاريخية بهذا الشكل فإننا نجد لها حاضرة وبكثرة في المسرحيات الاجتماعية من خلال أعمال بعض المسرحيين "كأحمد بن دياب" في مسرحيته التي أطلق "امرأة الأب" وهو موضوع قدس عالجته كتاب كثيرون وإذا كان اليوم يبدو انه لا يثير فينا شعورا حادا فإنه فيما مضى كان يعبر عن مشكلة عانى منها الشعب الجزائري وعانت منها الأسرة الشيء الكثير بسبب الجهل والأنانية.

وأیضا وبسبب قلة الوعي لدى الرجل والمرأة على سواء، مما انعكس كذلك على العائلة الجزائرية وأثرها في تماسكها.

¹ -عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، (1931-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط) 1983، الجزائر، ص246.

² -عبد الله الركبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص227.

³ -المرجع نفسه، ص228.

كما نلتمس هذه الموضوعات عند "أحمد رضا حوحو" في مسرحياته القصيرة التي تتكون من فصل أو أكثر ففي إحدى هذه المسرحيات يعالج موضوعا اجتماعيا يعرض فيه الزواج وكيف أن بنت أحد شخصيات المرموقة في المجتمع تتزوج من أديب فقير¹ و"عبد الله الركيبي" الذي يعالج موضوع الحب في مسرحيته "مصرع الطغاة" التي يلعب فيها الحب دورا كبيرا حيث كان حضور المرأة متميزا والجديد فيه أن الحبيبة لم يكن لها الحب كان المستقبل وإنما أصبحت رمزا للجزائر نفسها عن وحدة الحب والنضال تطلعا نحو الحرية والإنطلاق.² أما "أبو العيد دودو" في مسرحيته "التراب" التي يدور الحديث الرئيس فيها على شاب أحب فتاة خطبت لغيره فأراد أن ينتقم منه بعد أن يصعد لغلى الجبل وينظم إلى الثوار ولكن عرف أن الفتاة التي أحبها لم تبادله الحب وأنها كانت تحب خطيبها وهي وفيه له رغم أنها صعدت للجبل بينما بقى هو في القرية، غير أن بطل المسرحية سعيد وفضيلة التي أحبها دون أن تبادله هذه القاطفة قد قتل في إحدى المعارك وبذلك تنتهي الحادثة.³

كما نجد "أحمد رضا حوحو" في مسرحيته "عنبسة" التي يعالج فيها فكرة الانتقام من امرأة مزهوة بنفسها، معتدة بمكانتها مغرورة بجمالها، بيد أن هذا الانتقام لم يحققه آخر الأمر، ذلك الرجل الذي قدمه الكاتب في مسرحيته على أنه من الدهاة، إنما انتصرت المرأة التي ظلت حية، ولم يفتضح سر حبها الكبير بالرغم من أنها فقد حبيبها الشاب "عنبسة".⁴

ولقد أقام المؤلف "محمد الصالح رمضان" موضوع مسرحيته "الخنساء" تلك المرأة العربية المخضرمة التي ضلت تبكي أخويها منذ أن قتلا، إلى آخر رمق من حياتها ونفهم مما ورد المسرحية من حوار بين الخنساء وعائشة من وجهة، وبينها وبين عمر ابن الخطاب من جهة أخرى، أن هذه الشاعرة لم تسلم إلا سلام الأعراب البادين فقد بقيت فظة غليظة القلب، عنيفة العاطفة، لم

¹ -عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري، ص 231.

² -المرجع نفسه، ص 234.

³ -عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص 235.

⁴ -عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص 218.

يستطع الإسلام أن يهذبها أو يصلقها لتمكن الحزن على أخويها من قلبها، ولشدة حبها لهما، وقد كانت تعلم بعد أن أسلمت أنهما ماتا على جاهليتهما الجهلاء.¹

3- الرواية:

باعتبار الرواية تعتبر تعبير جمالي لواقع معقد تتحكم فيه عدة معايير متداخلة القصد منه الكشف عن الجوانب المتعددة من هذا الواقع، إن الشخصية الروائية هي الوسيلة الوحيدة لذلك.² ومن ثمة كانت الرواية الجزائرية، فرغم أنها حديثة العهد بالظهور إلا أنها اقتحمت الساحة الأدبية بشكل فوري واستقطبت أعلاما كثيرة لدراستها ونقدها، إذن فالرواية الجزائرية مفصلة عن الحداثة رغم أنها في البداية كانت تعاني من النذرة كما وكيفما فهي بذلك لم تستطع أن تخلق الشخصية الرائية التي تعبر عن الإنتماء، وبع فترة السبعينيات فسح المجال أما الحرف العربي ورصد كل تحركات الماضي وتطلعات المستقبل.³

فاصطبغت بذلك الرواية صبغة فنية وفكرية محافظة على التقاليد التي تمس حضارتنا.

وقد عاجلت الرواية الجزائرية عدة مواضيع وقضايا تمس الوطن وأوضاعه وأخرى تمس الفرد واهتمامه ومن المواضيع التي سجلت حضورا مكثفا وشغلت الأقلام المبدعة "المرأة" فمعالم صورة المرأة في الرواية الجزائرية مرتبطة أصلا بنشأة الرواية وتطورها، وبأهم الأحداث التاريخية والتحويلات الاجتماعية التي أفرزتها الأعمال الأدبية⁴ وهذا الكاتب "رشيدة بوجدره" من الذين شغلت المرأة حيزا مهما في نصوص تجربته الروائية في قوله "...ولذا فإن المرأة هي روايتي هي المحور".⁵

"وموضوع المرأة في الرواية الجزائرية موضوع أصيل ومتجدد ينطلق بانطلاق الرواية ويتطور بتطورها".

وإذا تحدثنا عن إنطلاقة الرواية فنقول إنطلاقة العمل الذي عانق الفن الروائي بوحى قصصي.

¹- المرجع نفسه، ص22.

²- بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، 1970-1983، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د.ط)، (د.ت)، ص12.

³- المرجع نفسه، ص12.

⁴- صالح مفقودة، فصل المرأة في الرواية الجزائرية، دار الهدى للطباعة، الجزائر، ط1، 2003، ص43.

⁵- بوشوشة بن جمعة، اتجاهات في الرواية في المغرب العربي، ص643.

وجدية في الذكر والحدث والشخصيات والصياغة.¹ وهذا ما نجد في روايتنا وخاصة المعاصرة منها ولنشير الآن إلى مجموعة من الروايات التي انصب الحديث فيها المرأة وصورها الرمزية وأبعادها الوظيفية وتبدأ رحلتنا في فضاء الرواية بالكاتب "أحمد رضا حوحو" وأضع الحجر الأساس للمتن الروائي في الأدب الجزائري.

1- أحمد رضا حوحو: يعد هذا الأخير واضع الحجر الأساس للرواية الجزائرية ومن المهتمين بإبراز صورة المرأة ويتضح ذلك جليا في رواية "غادة أم القرى" التي عبر فيها عن معاناة المرأة الحجازية وضغوط القهر والحرمان اللذان تعيشهما وهذا التصور ما هو إلا تطرق القضية الموازية للمرأة الشبيهة ومناظرة للمرأة الجزائرية فأذان بذلك "حوحو" في الرواية ذلك الواقع الذي تحرم فيه المرأة من حقها في الرأي، والتعبير عن مشاعرها وممارسة حقوقها الطبيعية، الإنسانية من الناحية كامرأة من ناحية أخرى فهذه حالة "زكية" بطلة الرواية.²

ف "زكية" شهدت العشق المقموع والمكبوت وهو حال كثير من ربات الحجال عندنا في بعض القرى والمداشر.³

فقد حرمت من الحب ومن ممارسة حريتها، حيث تجد نفسها بين أربعة جدران بحجة أنها امرأة وشعرت بوطأة الحجال وإرهاساته وأحست بعبئ التقاليد ولا سيما على الفتيات أمثالها ولم تستطع أن تجد حلا لوضعيتها سوى العودة إلى عالم الطفولة أين تجد فيه راحتها وتتمنى لو بقيت طفلة.

وتجد نفسها غارقة في حبّ ابن خالتها "جميل" فكتمت حبه وعشقتها له وكانت تنتظر خدمته لها، وفي الوقت ذاته تصمم المناذيل وستائر تخفيها من أن يراها أهلها، باعتبار الحب جريمة والحديث عن الزواج شيء مخجل وعيب فينشرب في حياتها الصراع بين حبها المكبوت والمقيد وبين عقلها وتفكيرها المتعب في الحفاظ على العادات والتقاليد وبين هذا وذلك تصاب "زكية" بمرض

¹ -عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ط:1، ص62.

² -أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الآداب للطباعة والنشر، الجزائر، ط2، 1978 ص58.

³ -صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص52.

يشبه الجنون وخاصة بدخول حبيبها جميل السجن بتهمة خاطئة ولترحل هي من الدنيا ويرحل هو الآخر دون إيجاد حل لهما، ويمكن أن نقول أن الموت هو سبيل لقائها وبذلك تبرز صوراً كثيرة لشخصية زكية فهي الصورة المثالية وظهر ذلك في حفاظها على العادات والتقاليد وصور المرأة النمطية المحبة الخاضعة والمستسلمة والأعراف وبالمقابل التنكر للبرغبات والعواطف والقناعات الشخصية.¹

ولم يستطع "حوحو" أن يخرج هذه الرواية باسم المرأة الجزائرية لأسباب فقد اكتفى بإهدائها لها وإلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب والعلم والحرية إلى تلك المخلوقة البائسة المهمة في هذا الوجود إلى المرأة الجزائرية تعزية وسلوى.²

وباعتبار أن "زكية" تمثل المرأة التي تعاني ويلات المجتمع وعاداته وتقاليده التي تحاول وما تزال تحاول تقمع حرية المرأة.

2- عبد الحميد بن هدوقة:

إذا قلنا أن "عبد الحميد بن هدوقة" فنانا نكون مقصرين في حقه أو كاتبنا نكون كذلك مقصرين وإذا قلنا مبدعا كان ذلك من حقه، وهذا ما يظهر لنا من خلال روايته وخاصة "ريح الجنوب" والتي قال "عبد الحميد مزيان" أنها حدث ثقافي يستجيب لمتطلبات واحتياجات الأجيال الصاعدة لأدب واقعي ملتزم.³

كما أنها تعتبر أول رواية جزائرية حادة ومتكاملة، كتبت باللغة العربية⁴ والمحور الأساسي الذي تدور حوله الأحداث النفسية الطبقة الإقطاعية التي عاشت الثورة الجزائرية دون أن تندمج فيها اندماجا كافيا.⁵ كما اهتمت الرواية بقضية المرأة وذلك من خلال شخصيات "نفيسة"

¹- المرجع السابق، ص 48.

²- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص 56.

³- الأعرج وسيني، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1986، ص 384.

⁴- مصطفى فارسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصب للنشر، الجزائر، (د.ط)، 2000، ص 07.

⁵- المرجع نفسه، ص 07.

باعتبارها الشخصية النسوية المركزية في هذه الرواية رسم "ابن هدوقة" صورة فتاة "نفيسة" وحياتها في القرية بعد عودتها من الدراسة في الجزائر إلى بيت والدها، وتفاجأت في آخر مرة أن أباهما غير موافق على رجوعها إلى العاصمة لسبب واحد هو أنها كبرت وأصبحت سيدة بيت.¹

وتبرز "نفيسة" بعد هذا صورة المرأة الثائرة الراضية، فهي حاملة للواء المرأة الثورية ضد الإقطاع وهيمنة الرجل²، و"نفيسة" هي صورة المثقفة التي تعاني من واقعها المتخلف في قريتها من جهة والواقع الحضاري في العاصمة من جهة أخرى لكنها تجد نفسها في الأخير حبيسة رغبة أبيها بتزويجها ب"مالك" من أجل المحافظة على مصالحه، فتلعن رفضها الصريح من هذا الزواج لأبيها، ثم تهرب لتقف الطبيعة في وجهها ويلدعها ثعبان، ليحدها الراعي "رايح" ويساعدها، ويقدم لنا "ابن هدوقة" ثلاث صور للمرأة من خلال الرواية فكل من "رحمة" و"خيرة" تمثلان جيل المرأة المخضرم، أما الفتيات بنات الاستقلال اللاتي يعشن في القرية ولم تساعدهن الظروف على رؤية أكثر من القرية، فهن يمثلن الجيل الثاني، أما الجيل الثالث تمثله "نفيسة" أين كان لها الحظ الأوفر من غيرها من بنات القرية في تعلمها في الجامعة حيث الفكر الحر والتصرفات الطليقة.³

ورغم سلبية "نفيسة" الفتاة البرجوازية الصغيرة التي ماتزال مستهلكة، وعجزها عن إعطاء الأكثر⁴، فهي صورة المرأة الفاشلة الغير القادرة على مواجهة الواقع والمجتمع، ورغم هذا تظل صورة المرأة الثورية لطريقة أو بأخرى، وهي على غرار "رحمة" التي تمثل الجزائر دائما فهي روح الشعب التي تجسد آماله وآلامه وأحاسيسه من خلال ترسمه على الأواني، وعلى الرغم من القالب الديني الذي يؤثر تفكيرها⁵، وهي ذات تأثير فعال على كل أحداث الرواية وهي الشخصية التي تحمل الطرف

¹-الوسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص385.

²-بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، ص91.

³-المرجع نفسه، ص54.

⁴-الأعرج وسيني، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص391-392.

⁵-المرجع نفسه، ص394.

الرمزي¹، فهي رمز الوحدة والربط الشامل بين الأطراف المتناقضة، كما أنها صانعة الفخار وهذا يمثل الارتباط بالمكان-الأرض- الزمان والتاريخ والأصالة، كما ترمز إلى الحكمة والصبر. إن "ابن هدوقة" قدم وبإبداع صورتان للمرأة، فالمرأة البرجوازية الفاشلة والمرأة الواقعية المنتجة، فقد استطاع المبدع بقدرته الفنية أن يتوصل إلى الكشف عن البعد الحقيقي لهذه الرواية، وبذلك أعطى صورة واقعية للمرأة السلبية والإيجابية والمرأة الناجحة والفاشلة، كما تمكن الكاتب من إيصال فكرة ولو كانت سلبية عن المرأة الجزائرية نتيجة لتلك السلطة الإقطاعية والسلطة الأبوية والقهر الذي تعانيه وقمع الحرية الذاتية وحرية الاختيار.

3- أحلام مستغانمي:

هي من الأقلام النسوية العربية والجزائرية التي اقتحمت الساحة الأدبية وسجلت اسمها بأحرف من ذهب، فقد عالجت من خلال مواضيع وقضايا كالدين، والجنس، والسياسة، التي تناولتها بجرأة لا مثيل لها وتشهد عليها "ذاكرة الجسد" و"فوضى الحواس" و"عابر سبيل". وفي روايتها "ذاكرة الجسد" نجدها تتعرض لجملة من القضايا السياسية والاجتماعية التي تعالج فيها قضية انحراف الجزائر²، كما تطرقت لموضوع المرأة من خلال إعطاء الأبعاد والدلالات والرموز المناسبة لها.

واعتمدت على أسلوب المخاطبة حيث نجد الراوي أو البطل يخاطب فتاة جزائرية، وفي بعدها الأول تمثل المرأة الجزائرية ابنة الشهيد³، و"أحلام" هذه الفتاة ذات الجمال الطبيعي تحمل في شكلها تضاريس المدينة، ولذلك نجد الراوي وهو "خالد" تعلق بها رغم أنه في مقام أبيها، إلا أن الحب في نظره ليس له سن محدود، فربطها بقسنطينة المدينة ثم يقارنها بالوطن-الجزائر- فصورة "أحلام" تتراءى للراوي "خال" بمجرد أن يسير في شوارع قسنطينة⁴ وحين يتأملها يجد فيها صورة

¹ - بشير بويجيرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، ص 102-103.

² - صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 225.

³ - المرجع نفسه، ص 251.

⁴ - المرجع نفسه، ص 253-254.

الأم كما أنها تمثل لوحة "حنين" الذي رسمها منذ خمسة وعشرين عاما فيرى فيها حين يلقاها الذاكرة التاريخية والثورية فهي ابنة صديقة سفي الثورة يراها المدينة المتحركة لا الجامدة المتحركة والنابضة للحياة بما فيها من حاضر وماضي ومستقبل وهي صورة المرأة المتعلمة المثقفة رغم ذلك فهي تمثل شخصية الفتاة السلبية المستسلمة والمصاغة لرغبات عمها من أجل خدمة المصالح الخاصة على حسابها، وعلى حساب الوطن الأم، فهي مثل الشاة الوديعة، فأين ينقاد راعيها تنقاد، ولكن "خالد" يراها المرأة التي تحمل في ذراعيها سوار بطاقة هويتها، السوار هو رمز الوطن والتراث، فهي إذن رمز المدينة ورمز المرأة باعتبارها ابنة شهيد، وثمره الجهاد ولكن الثمرة الغالية يقطفها انتهازيون بحيث تزف "أحلام" رغما عنها، فهذا الزواج عند "خالد" يعني أن ما زرعه الشهداء والمجاهدين المخلصين يجنيه اليوم الانتهازيون بكل بساطة وتبدو "أحلام" الجميلة هي الجزائر نفسها مستسلمة ومتقبلة وكأنها قضاء وقدر، الأمر مرر فيه فكأن المرأة هنا تمارس الهروب وتدخل عالم الانتهاز بالقوة بدءا من عمها وأصحابه دون أن تتنكر للتاريخ¹ باعتبارها هي التاريخ والتراب المخصب بالدماء الطاهرة، وهي المرأة المعتصبة بطريقة شرعية، ومن هنا تتضح صورة المرأة ففي رواية "أحلام" أنها المرأة المعتصبة والمسلوبة²، ف"خالد" يعني من هذا الزواج ويعاني كرجل تاريخ وكذاكرة جماعية ومثل ذلك تعاني الفتاة اليتيمة التي هي الحرية والنصر أو فنقل الجزائر الحديثة.³

4-محمد ديب:

يعد من الكتاب الجزائريين الذين عاجلوا المرأة بصفة عامة، والمرأة الجزائرية بصفة خاصة، فهذه الأخيرة أعطى لها الصورة الواقعية والثورية تلك المرأة التي تحاول التخلص من القيود التي تمس حريتها وتحمده تفكيرها، وتربطها بالماضي دون السماح لها بالتوغل في مغارات المستقبل لاكتشاف دربها الحقيقي في الحياة، وهذا ما صورته لنا "ديب" في روايته "صيف إفريقي" سنة 1959 أين أبرز

¹-صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص251.

²-المرجع نفسه، ص253-254.

³-المرجع نفسه، ص256.

الصورة الحقيقية للمرأة في الجزائر وخاصة تلك التي تخوض حربا ضد الواقع والمجتمع فهذه "زكية" طالبة البكالوريا بالعمل في مدرسة لكن والدها يعترض ويرغب في تزويجها دون مراعاة لشعورها ولا لرأيها، فيرفض هذا الزواج غير أمها تحاول إقناعها بذلك فهنا تتجلى لنا المرأة الإيجابية "زكية" سلبية "الأم" وكذا صراع بين الجديد والقديم، ف"زكية" تنظر إلى الحياة بمنظر أخرى، وتتساءل لما درست وتعلمت لأجل أن يكون مصيرها مثل أمها؟ أم من أجل حريتها؟ ولتنتصر في الأخير وتحقق هدفها.

ويعطينا الأديب الصورة الأخرى مناقضة لصورة "زكية" وهي الفتاة "رحمة" نموذجاً للخادمة المضطرة للعمل من أجل لقمة العيش، الراضية لوضعيتها والمستحيلة في تغييرها، أما الفلاحة "بدرة" هي الأم المعذبة في صمت والصابرة لحالها فهي تتألم في الصمت لأن ابنها مع الرفاق في الجبال¹ وفي روايته "مهنة النسيج" يعطي لنا صورة المرأة الأوروبية التي تمص دم وقوة المرأة الجزائرية والمعدمة، وهذه من صور التي نجح فيها "ديب" ليعين الفرق الكبير بين حياتين وجدتا على أرض الجزائر² والمرأة عند "ديب" هي التي توضح الطريق أمام الإنسان وهي الجزائر الأسطورية.

5-مولود فرعون:

قد حاول من خلال عمله أن يقدم الصورة الحقيقية للجزائر وخاصة الغربية باعتبار أن المعاناة والحرمان والفقر جزء منها وقد تطرق لموضوع المرأة القروية الفلاحة، فرواياته "الأرض والدم" عام 1953م نجد شخصياته تنطلق في أساسها من القرية ونموذج المرأة التي اختارها في قصته كان غربيا نوعا م ف "شبحه" امرأة عاقر تزوجت في سن صغيرة رجلا يكبرها سنا، وتنتهي هذه المرأة بالانصياع لنزواتها وتخون زوجها مع رجل آخر "عامر" وهذا الأخير زوج صديقته الفرنسية "ماري" وتكتشف حقيقة "شبحه" وتنتهي القصة بقتل عشيق "عامر" الزوج "سليمان".³

¹-سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات الكنتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 1967، ص161.

²-المرجع السابق، ص160.

³-المرجع نفسه، ص186.

"شبحه" تمثل صورة المرأة الجزائرية القروية الجاهلة الخائنة والأنانية غير المبالية لزوجها ولقيمتها ولعاداتها، فهي نموذج وصورة للمرأة السلبية غير أن "ماري" هي صورة المرأة الغربية العاقلة الرزينة الوفية والمتسامحة ونجد "فرعون" يمثل المرأة العربية وهذا ما يناقض تفكيره وخاصة أنه حمل السلاح وأشال به في وجه فرنسا.

6-مولود معمري:

فصورة المرأة عند "فرعون" هي غيرها عند "معمري" فهذا الأخير استطاع أن يدافع بفنه وأدبه وقلمه الذهني عند المرأة الجزائرية التي شاركته وناظرت وضحت من أجبل صنع مستقبل الجزائر فالمرأة عند المولود معمري رمز للجزائر، الجزائر الدامية التي عانت الكثير من الآلام والعذاب¹.

فكل من "تاساديت" "تيو" و"جميلة" حملت السلاح وشاركته في الحرب التحريرية "تاساديت" ترمز بآلامها وعذابها وحرمانها إلى الجزائر التي تبكي أبناءها، ستظل مخلصه لذكرى من قدموا أرواحهم مخلصه في سبيلها².

ونلاحظ الفرق بين الكاتبين في إبراز صورة المرأة الجزائرية فمولود فرعون صورها بالصورة السلبية، المرأة الجاهلة الحمقاء، و"مولود معمري" المرأة إيجابية الجزائر بكل ما تحمله الكلمة من معنى إذ هنا نتساءل إلى من يعو هذا الفرق.

إن صورة المرأة عند "مولود فرعون" بهذا الشكل ربما يعود إلى طبيعة نشأته وتأثره بالقربة والحالة التي يعيشها رغم ثقافته وهذا ما يجعله يحكم على المرأة الجزائرية القروية لا المدينة بالجاهلة والإنصياع للتزوات.

عموما فإن الأدب الجزائري المعاصر بما فيه القصة المسرحية والرواية لم يترك لموضوع المرأة بصورة واضحة وجلية لأن أغلب الموضوعات كانت ثورية بحثة وهذا راجع لطبيعة الأدب الجزائري المتميز

¹-المرجع السابق، 180.

²-المرجع نفسه، ص181.

بقضايا معينة خصوصا الثورية منها وبالتالي فإن وجود المرأة من هذه الأعمال الأدبية كان جد قليل حيث حاولنا أم نلتمس صورتها من خلال الرموز فباتت المرأة في الأدب الجزائري رمزا للوطن المسلوب وللحرية المرتقبة والأم... إلخ من الصور الفنية.

الفصل الثاني

صورة المرأة في رواية "ذاكرة الجسد"

المبحث الأول: جماليات رمزية المرأة

المبحث الثاني: توظيف التراث الشعبي

المبحث الأول: جماليات رمزية المرأة

تعد رواية "ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي" مدونة من الحجم المتوسط يبلغ عدد صفحاتها أربعمئة واثنين وثمان صفحات على ستة فصول تطول وتقصّر حسب مُمون ك فصل من الفصول التي أكتفت الروائية بترقيمها بدلا من وضع عناوين دالة على محتواها والجدول التالي يوضح هذه التقسيمات:¹

الفصل	القسم	عدد الصفحات	مجموع الصفحات
الأول	الأول	35	
	الثاني	09	44
الثاني	الأول	15	
	الثاني	03	37
الثالث	الأول	19	
	الثاني	35	99
الرابع	الأول	23	
	الثاني	26	105
الخامس	الأول	19	
	الثاني	83	102
السادس	الأول	32	
	الثاني	30	63

فالأدبية بدأت روايتها من نهاية الأحداث واتجهت إلى البداية من خلال مغامرة للسفر ذاكرة رجل جزائري هو "خالد" الأمر الذي جعلها تتخذ شكلا دائريا تنطبق فيه الأحداث من نهايات.

¹ -عمار زعموش، الخطاب الروائي في ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي من نقد الواقع إلى البحث عن الذات، مجلة الثقافية وزارة الاعلام والاتصال، جامعة قسنطينة، ع: 144، 1997، ص 459.

والرواية تنتمي على الرؤية المحدودة أي تساوي الأدب القصصي في هذه الفترة المعاصرة، وهذا التساوي يعني أن الراوي لا يستطيع أن يقدم لنا معلومات قبل أن تكون الشخصيات قد وجدتتها هي الأخرى.¹

والرواية إذا نظرنا إلى الفكرة أو الموضوع الذي تعالجه فيكفي في إطار الرواية السياسية التي يعرفها "طه وادي" الرواية التي تلعب الأفكار السياسية فيها الدور الغالب والتحكمي.²

فالسياسة لا تدخل النص من أجل أن تقدم خطابا ايدولوجيا جاهزا للقارئ بل إنها تدخل كمكان جمالي يكون أداة في يد الكاتب ليعبّر في النهاية بواسطته عن إيديولوجية خاصة.

كان الهدف من الرواية من حيث البناء الشكلي، إن صح التعبير أو الاطار الخارجي عموما وما يحويه، أما عن الرواية من حيث المضمون فقد جاءت مشحونة بعدة رموز فنية جمالية وقيم تاريخية، تراثية وشعبية إضافة إلى الدلالات والابماءات التي تصور من خلالها الروائية الجزائرية وواقع الجزائر في العصر الحديث أو العشرية الاخيرة قبل أن نتطرق إلى تلخيص مضمون الرواية نقف قليلا عند الكاتبة لنتعرف عنها في بضعة أسطر.

"أحلام مستغانمي" شاعرة وروائية جزائرية من مواليد 1953، بقسنطينة عملت بالإذاعة الجزائرية، ولعدة سنوات متعددة لبرنامج شعري بعنوان "همسات" لترحل بعدها إلى العاصمة الفرنسية لتنشط في دوريات عربية كانت تصدر هناك من بينها "مجلة الحوار" التي كان يديرها زوجها "جورج الرازي".³

اشتهرت حينها "أحلام مستغانمي" بصفحاتها الأخيرة "كلمات لقارئ آخر" قد حصلت على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة السربون بباريس سنة 1981 وطيلة إقامتها في فرنسا عملت كمحاضرة في إحدى جامعاتها.⁴

¹- المرجع السابق، ص46،

²- طه وادي، دراسات في النقد الرواية، دار المعارف، مصر، الطبعة 3، 1991، ص556.

³-عمار زعموش، الخطاب الروائي في ذاكرة الجسد، ص01،

⁴-عبد السلام صحراوي، الأناقة والإغراء في لغة أحلام مستغانمي، مجلة الثورة، ع:27، دت، ص01،

وقد غابت الروائية عن الابداع بصفة عامة وعن الشعر الذي بدأت منه رحلتها في عالم الأدب والكتابة بصفة خاصة لتتفرغ لحياتها اليومية في التدريس فقط.

ثم عادت الى السياحة الأدبية ولكن ليس في الشعر هذه المرة بل اتجهت الى الجانب النثري أين تأثرت بروائيين أمثال "أندري جيد" و"بلزاك".

مثلت الروائية "أحلام مستغانمي" الجزائر في عدة مهرجانات ومؤتمرات أدبية أين تحصلت على جائزة "نجيب محفوظ" للأدب من الجامعة الأمريكية سنة 1998 وعلى ميدالية الأدب الجزائري في نفس السنة أيضا.¹

وللروائية إنتاج أدبي كبير أو معتبر نذكر منه ديواني شعر الأول بعنوان "على مرفأ الأيام" وصدر سنة 1972 والثاني تحت عنوان "كتابة في لحظة عربي" وصدر سنة 1976 بالإضافة الى هذا كله صدور الروائيتين الشهيرتين "ذاكرة الجسد" سنة 1993، ورواية "فوضى الحواس" سنة 1995، وروايات أخرى ذات عناوين مأخوذة من الواقع المعاش.²

ف"أحلام مستغانمي" إذا نور يلمع وسط الظلام الكثيف وكتابة خطمت المدى اللغوي الذي دفع إليه الاستعمار الفرنسي مثقفي الجزائري.

-ملخص الرواية:

عرضت الكاتبة جملة من القضايا الاجتماعية والسياسية إن لم نقل جلها، وتتلخص أحداث الرواية في "خالد" من أبطال التحرير والثورة الأحرار بإمرة القائد "سي الطاهر عبد المولى"، وكلاهما من المدينة قسنطينة، حظي خالد برتبة ملازم لفرط حبه للوطن ووكل إليه القائد عبد المولى مهمة قيادة المعارك العديدة وحده دون أن يتلقى الأوامر من أي أحد، وفي إحدى المعارك أصيب خالد في ذراع-قرب مدينة باتنة-

¹-المرجع السابق، ص01.

²-ختام نعامنة، كتاب روايتان للكاتبة "أحلام مستغانمي" ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، مجلة الصبار، ص02.

إصابة بليغة وكذلك عدد من المجاهدين، فيرسل مع رفاقه المجاهدين المصابين إلى تونس للعلاج، حيث كانت موقعا خلفيا يترك فيه المجاهدين عائلاتهم كما كان الأمر بالنسبة للقائد "سي الطاهر" الذي أوكل إلى "خالد" قبل سفره إلى تونس أن يمر بعائلته ويسجل ابنته المولودة حديثا في الحالة المدنية، وهذا ما قام به خالد حين وصوله إلى تونس، ثم انتقل إلى إحدى المستشفيات للعلاج فاضطر الأطباء لبتز ذراعه اليسرى، وإثر هذه الحالة يصاب خالد بحالة نفسية صعبة فينصحه الطبيب الذي عالجته وهو يوغسلافي "كابوتسي" بالرسم أو الكتابة ليخفف عنه ويجعله يتكيف مع وضعه الجديد وكان ذلك عام 1953 م، ويأخذ خالد نصيحة الطبيب بعين الاعتبار ويقوم برسم أول لوحة أسماها "حنين" وهي تمثل جسرا من جسور قسنطينة.

وفي سنة 1962 م واستقلال الجزائر يتهافت وتنافس رجال الثورة الطامعين لمناصب أعلى في الدولة ليحكموا هذا الوطن، وهذا ما كان يؤلم "خالد" وما ترك له أثرا عميقا وحزنا ألما على وطن رآه يضيع بين حثالة المجتمع يجرون وراء المناصب والماديات، مما جعل علاقته بهم تنفر شيئا فشيئا، وكان خالد يشغل منصب مدير لدار النشر، وفي إحدى الأيام بينما هو جالس كعادته على كرسي مكتبه يستضيف شاعرا فلبسطينا اسمه "زياد" يرغب في نشر وطبع ديوانه ليصبح فيما بعد صديقا له ومقربا له بسبب الحوار الذي دار بينهما وشخصية زياد الفلبسطينية التي أعجبتة وذكرته بحماسة أثناء الثورة.

بعدها رأى خالد تلك الأوضاع التي تعيشها الجزائر، كره البقاء في وطن لطلما أحبه، وكانت هجرته بسبب الحكم والحكام، فغادر البلاد متجها إلى "فرنسا" حيث أصبح فيها رساما مشهورا، وبعد خمس وعشرين سنة يقيم خالد معرضا بباريس، وتزور المعرض بالصدفة فتاتان احدهما ترتدي فستانا أبيض وتحمل في معصمها سوارا يشبه سوار أم خالد، لتقف صاحبة الثوب الأبيض أمام لوحة "حنين" فيشهد هذا الموقف انتباه خالد، فيتجه نحوها ليحدثها عن تلك اللوحة ليكشف أن الزائرتين هما ابنتا العمومة ويحملان لقب "عبد المولى" وهو لقب الشهيد "سي الطاهر"

فتكون صاحبة الثوب الأبيض الفتاة التي كانت طفلة وسجلها خالد في تونس باسم يتكون من الحروف التالية: ألف الأ لم، وميم المتعة وبينهما حاء الحرقه، ولام التحذير أي "أحلام".

فبعد ربع قرن تشاء الأقدار أن تجمعهم بابنه رفيق دربه النضالي "سي الطاهر" ويقع في حبها بصورة ميلودرامية فيعشقها ويمنحها حياته وجسده المعطوب وذاكرته وانتقاله من حالة الجمود والاعترا ب إلى بداية الرعي والافتتاح لاكتشاف الذات¹، وأصبحت بينهما علاقة حب فيتواعدان ويلتقيان في كل مرة ليحدثها عن أبيها الذي لم تعرفه وعن نفسه وعن خالد صديقه زياد وهذا ما زاد الفتاة تعلقا إذ قالت: "أحبك يا خالد".

وتتصادف الأحداث حيث يأتي زياد ويحل ضيفا على باريس، ويسكن مع "خالد" في شقته، إذ يتعرف "زياد" على "حياة" تعجب به مما زاد خالد حرقه وغيره، وفي هذه الظروف يضطر "خالد" إلى السفر إلى اسبانيا تاركا حياة وزياد وحدهما.

وعند عودته إلى فرنسا يجد زياد عازما على العودة إلى "فلسطين" ليلتحق بالمناضلين هناك، ويترك حبيبته في شقة خالد لعله يعود يوما ما، وتحت هذه الظروف المتأزمة تقرر حياة أيضا السفر إلى قسنطينة في زيارة، وبعد عودتها يلتقي "خالد" بعمها سي الشريف ويدعوه لحضور زفاف ابنة أخيه "حياة"، فكانت صدمة بالنسبة له-زواجها- لأنه أذكر أنها ليست له، اما الثانية والأكثر قسوة فكانت مقتل صديقه زياد الذي بقيت علاقته بحياة سرا دون أي تفسير ما نوع العلاقة والسر الثاني تلك الحقيقة التي تركها عنده، وبعد كل هذا وذلك يخضع ويجبر للعودة إلى الوطن لحضور فل زفاف حبيبته حياة، فيدهش للتغيرات التي طرأت على قسنطينة ويكتشف أشياء أخرى ويسترجع ماضيه ليعود على باريس بعد نهاية العرس، وعند وصوله إلى هناك يبلغ بموت أخيه في حادث ما جعله يعود إلى أرض الوطن، ليقرر البقاء هناك بقية حياته بعد أن بقي وحيدا دون أخ طالما رجاه بالبقاء إلى جواره ومشاركته همومه في قسنطينة، فدون حبيبته وذلك أنه وحيد بين

¹ -عمار زعموش، الخطاب الروائي في ذاكرة الجسد(د،ط)، (د،س)، ص211.

"حياة" و "قسطنطينة" فكان من البديهي ان لا تكون له لأن الوطن ليس ملكا لمحبيه ولا لمن سكبوا دمائهم على ترابه ليحرروه ودون صديق يسانده ويرافقه ويقاسمه مشاكله.

المبحث الاول: جماليات رمزية المرأة

يعد الرمز من ميزات اللغة العربية واللغات جميعا بشكل عام، وذلك لأن طاقات اللغة في التعبير محدودة ولذا يلجأ الكاتب لاستخدام الرمز المجاز(الصورة الرمزية) وذلك عندما تعجز اللغة عند استيعاب المعاني والأفكار التي يريدون التعبير عنها...¹

واستخدام الرمز ليس جديدا في أدبنا العربي بل معروف وموجود في شعرنا القديم، ولكن الاهتمام به تعاضم في هذا العصر، وأصبح السمة البارزة في الادب عامة والشعر بصفة خاصة، وهذا ينظر لغنى الحياة المعاصرة، وزخمتها بالأفكار والانتاج وتضارب التيارات، كما شجع على استخدام هذه الطريقة في التعبير ظهور مذاهب أدبية تعتمد الرمز للتعبير ومن الرمزية.²

ومن ثم فقد أصبح الرمز من الوسائل والتقنيات الهامة التي يستخدمها الروائي ل طرح القضايا المتعلقة بالمرأة على وجه الخصوص، وفي هذه الحالة فحسب بل يتخذها رمز شيء آخر، كأن يرمز بها إلى الحرية مثلا أو الثورة أو الوطن. والرمز التي يلتبسها الروائي تتباين وتختلف نوعيتها بين الرموز الجنسية.³

ونظرا لأهمية الرموز ودورها في الاعمال الروائية يذهب بعض النقد إلى أن لا ترمي السحرية إلى إثراء لغة التعبير الروائي فحسب، بل تسعى إلى الالتحام بالعالم الخارجي، من خلال العجز عن ادراكه ادراكا موضوعيا، أو استيعابه استيعابا شاملا على نحو فلسفي أو علمي دقيق ومن ثم فالاستعمال اللغوي يبدأ انطلاقا من الرموز ليتطرق فيما يبدو إلى بلاغي أكثر تعقيدا، حيث ينحني منحى الاستعارة والمجازر، ليتطور ويتدرج، ومن ثم على مستوى الدلالة من احادية المعنى إلى ثنائيتها، وتعدده حيث يظهر ويتضح في ضروب عديدة من التقابل والتوافق والتوازي إلى غير ذلك من التراكيب اللغوية، مما يضيف إليها معان وإيحاءات معاصرة.

¹ -عبد الحميد الهيمية، الرمز الصفي المغربي المعاصر، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، (د،ط)، 2005، ص139.

² -صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص241.

³ -مصطفى عبد الغني، قضايا الرواية العربية، الدار المصرية اللبنانية، (د،ط)، (د،ت)، ص166.

وبما أن الروائية وظفت المرأة كرمز في هذه الرواية فقد خصصنا جزءا من هذا الفصل لمعرفة الرموز وما تحمله من دلالات وأبعاد فكرية ولكن قبل ذلك ينبغي أن نقف أولا عند ماهية الرمز لغة واصطلاحا.

الرمز لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة ر-م-ز.

الرمز: تصويت خفي باللسان، كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة وبالشفيتين.

وقيل: الرمز إشارة وإيماء بالعينين، والحاجبين، والشفيتين، والفم، والرمز في اللغة كأما أشرت إليه بلفظ لأي شيء أشرت إليه بيد، أو بعين، أو رمز يرمز ويرمز رمزا.

وفي التنزيل العزيز في قصة زكريا عليه السلام: "ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا".

والرمز والترمز في اللغة: الحزم والتحرك وإرتمز الرجل وترمز بمعنى تحرك.

أما في المعجم الوسيط: رمزا أو مأ وأشار إليه بالشفيتين أو بالعينين أو بالحاجبين أو أي شيء آخر كان.

رمز-رمازة: انقبض، وكثرت حركته ورزن ووقر وكان مبجلا معظما و- كان أصيلا وفؤاده: ضاق فهو رميذا.

-الرمز إصطلاحا:

أما بالنسبة للتعريف الاصطلاح فقد وردت عدة تعريفات فنجد "محمد غنيمي هلال" في كتابه "الأدب اللغوي" يعرفه فيقول:

"الرمز هذا معناه الایجاد أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على آدائها اللغة هي دلالتها الوضعية، والرمز هو الصلة بين الذات والأشياء بحيث تتولى المشاعر عن طريق الإثارة النفسية عن طريق التسمية والتصريح".

"فغنيمي هلال" ربط بين الرمز والذات أي الجوانب النفسية الخفية التي لا تستطيع اللغة التعبير عنها.

أما "القادر فيدوح" فيرى أن الرمز نوع من الابداع حيث يقول:

"أن الأدباء سلكوا مسلك الرمز لما يحمله من ثاقات الغموض، وإبهام والإيجاء بقصد استلهام عوانه الغامضة بوصفها مؤشرات على الباطن الخفي، والداخل المستتر الذي لا تستوعبه إلا الطاقات أي الا الطاقات الكشفية، ذلك أنه كيان مفتوح لا تستهلكه الشروح أي أنه يتم سرا، لا يبوح، لا عن طريق البرهان، مادام الرمز لا يشع فحواه إلا وفقا لمبدأ التلويح فالبرهان سبيل العقل ودليل العلم".

2-جماليات رمزية المرأة في رواية ذاكرة الجسد:

هذا إذا عن تعريف الرمز لغة واصطلاحا وفي ما يلي نلج إلى النص الروائي لرصد أهم الرموز التي وضفتها الكاتبة وما حوته هذه الرموز من دلالات وإيجاءات، حيث نجد "أحلام مستغانمي" تحاول أن تربط بين المرأة والمدينة وأحيانا أخرى بين المرأة والوضع، لأن التسمية متشابهة فكلاهم اسم جمع يدل على المفرد (أحلام-الجزائر).

فصورة أحلام تراءى للراوي "خالد" بمجرد أن يسير في شوارع قسنطينة وفي معصم الفتاة سوار قسنطيني هو العلامة المميزة وتتضح العلاقة أكثر بين المرأة والمدينة، حين يجعل البطل "خالد" تلك الفتاة المدينة فيقول: "لم تكون امرأة كنت مدينة...".

كما يقول أيضا: أنت مدينة ولست امرأة، وكلما رسمت قسنطينة رسمتك، أنت وحدك ستعرفين هذا...".

وفي موضع آخر كذلك يعترف خالد بأنه حولها من امرأة إلى مدينة في قوله: "أنا الرجل الذي حولك من امرأة إلى المدينة، وحولته من حجارة كريمة إلى حصي".

والربط بين المخاطبة والمدينة واضح تماما، وتدعمه الكاتبة باجراء شبة مقارنة بين الاثنين استنادا إلى الأقوال الأدبية المأثورة منها:

تشابه بعض المدن مع النساء، كون بعضهن يجعلنا نستعجله قدوم لصباح ولكن مهما كان الليل فالصبح واحد، ونلمس ذلك في قوله: "هنالك مدن كالنساء، تهمك أسماؤها مسبقا، تغريك وتربكك، تملأك وتفرغك ... هنالك مدن ... لم تخلق لتزورها بمفردك... هنالك مدن ... كم تشبهك".

فأحلام هنا ليست المدينة الجامدة، بل هي رمز لقسنطينة المدينة بما فيها ومن فيها، بحاضرها وماضيها، وبماثمها وبأسواقها وأعراسها وأولياؤها... إلخ، وما دامت كذلك فهي جسر من جسورها المعلقة ولأنه لولا تلك الجسور لما كانت هذه المدينة حيث يقول:

"أن أرسم لك جسرا شامخا لهذا يعني أن أعترف لك أنك دوارى لأنه ما لم يقله لك رجل قبلي"¹

ولم يقف خالد عند هذا الحد فقط بل أن يرتقي بهذه المرأة إلى أبعد الحدود، فعدت لوحة من لوحاته ومرة أخرى تتضح العلاقة بين المرأة "أحلام" و"اللوحه" "حنين" هي أول لوحة يرسمها خالد، فهذه اللوحة لا تمثل قسنطينة فقط، فهي في الوقت ذاته تمثل "أحلام" فميلاد الاثنتين جدا تقارب واسمه موقع عليهما في السنة نفسها، لقد وقع بجانب اللوحة تونس سبعة وخمسون، ووقع بدفتر الحياة المدنية على الاسم الجديد للفتاة وهو أحلام.²

كنت أشعر أنني أرسمك انت لا غير.

أنت بكل تناقصك

ارسم نسخة عنك أكثر نضوجا .. أكثر تعاريج.

نسخة أخرى من لوحة كبرت معاك³

ولكن بالرغم من كل ذلك نستطيع القول أنها استطاعت بالفعل تجميع خيوط هذه الشخصيات في قالب فني رائع، وبالتالي نجدها قد برعت من الناحية الفنية الجمالية وبلغت قمة

¹ - أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد ص 189.

² - صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 251.

³ - أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص 155.

التصوير الخيالي والإيحاء الدلالي كما تمكنت من استنطاق تلك الرموز والتعبير عن افكارها بكل جرءة، وكل تلقائية واستطاعت رصد الواقع السياسي والاجتماعي للبلاد حيث وضعت يدها على قضايا حساسة.

المبحث الثاني: توظيف التراث الشعبي

1- التراث الأدبي:

1-1- الأغاني الشعبية:

ومن التراث نجد الأغاني الشعبية والتي أخذت جانبا مهما في الرواية، هذا بطبيعة الحال ما هو إلا دليل واضح يعكس لنا مدى تثبيت الرواية بالمرور الثقافي والتراث الشعب الجزائري أو لنقل التراث القسنطيني على وجه الخصوص.

ولعل ما يلفت انتباه القارئ تلك الأغاني الشعبية التي يؤديها "الفرقاني" أو غيره من المطربين والتي لطالما تغنت بالمرأة وبجمالها ولكن في نفس الوقت فهي ليست أغاني للمتعة والطرب والترفيه فحسب، بل مشحونة بدلالات وقيم وعبر هادفة وهذا ما جعل الكاتبة تستقي منها مادتها وموضوعاتها في صقل أفكارها حيث يقول أحدهم:

"شَرَعِي الْبَاب يَا أُمَّ الْعُرُوس"¹

وهي أغنية مشهورة ومتداولة كثيرا في الأوساط الشعبية وتقال عادة عند خروج العروس من بيت والدها ولكنها تحم دلالات أخرى عند "خالد" فهذه الأغنية تستفز ذاكرته وتعود به طفلا يركض في بيوت قسنطينة القديمة، في مواكب نسائية أخرى... خلف عروس أخرى... لم يكن يعرف عنها شيئا يوم ذلك.

فهذه الأغنية بالذات أركبت "خال" وأثارته لأنه أحبها كما أحب جل الأغاني التي كانت ترف بها العرائس والتي كانت تطربه دون أن يفهمها إذا بها اليوم تبكيه لأنه افتقد حبيبته للأبد.

ومن الأغاني الشعبية الهادفة أيضا نجد الفرقاني يعني:

يَا صَالِحُ... وَعَيْنِيكَ عَجْبُونِي..."²

إِذَا طَاخَ اللَّيْلُ وَيَنْ أُنْبَاتُ فَوْقَ فَرَّاشِ حَرِيرٍ وَمَخَدَّاتِهِ..."

¹-الرواية، ص422.

²-الرواية، ص425.

"أَمَان...أَمَان..."

"عَ اللَّي مَاتُوا...يَا عَيْنُ مَا تَبْكِي عَ اللَّي مَاتُوا..."

"أَمَان...أَمَان..."¹

"خَارِجَةَ مِنْ الْحَمَامِ بِالرَّيْحِيَّةِ يَا لِنَدْرَاشِ لِلْغَيْرَةِ وَالْأَلِي..."

"أَمَان...أَمَان..."²

وهذا المقطع الأخير من الأغنية يستوقف "خالد" مرة أخرى ويستفزه، فيطرح السؤال مرة أخرى، والآن يعي ويدرك تماما بأن المرأة ليست له وهذا ما تؤكد الأغنية وما يؤكد الموكب النسائي الذي يهرب بها ويرافقها بالزغاريد إلى ليلة حبها الشرعية فبات أكثر قناعة بأنه افتقدها للأبد.

فعندما تمر به وهي تمشي مشية العرائس تلك، يشعر بقدميها تمشي على جسده ليس بالريحية، وإنما بقدميها المخصبتين بالحناء، كما أن خلخالها الذهبي يدق داخله فيعير جرسا يوقظ ذاكرته.

1-2- الأمثال الشعبية:

تعد الأمثال الشعبية من مستلزمات الحياة الاجتماعية التي صنعها الإنسان بتفاعلاته مع أبناء جنسه، ومع أبناء جنسه، ومع الطبيعة وقد عالج المثل الشعبي جل موضوعات الحياة، فقد تعرض على سبيل المثل للقيم الأخلاقية التي تعد من الوسائل الفعالة داخل المجتمع لتوجيه الأفراد، ومدهم بالقواعد السلوكية الصحيحة والمستحبة التي يجب إتباعها والخروج عن قواعد السلوك العام. وفي هذا الجانب بالذات أخذت المرأة الحظ الأوفر والمكانة المرموقة، حيث عنيت الأمثال الشعبية بالمرأة وسجلت نظرة المجتمع لحياتها العائلية والاجتماعية بصفة عامة، ورصدت كما يتعلق بها من حقوق وواجبات كما عالجت مشاكلها الزوجية والنفسية والأخلاقية...إلخ.

¹-الرواية، ص425.

²-الرواية، ص428.

ولقد زحرت رواية "ذاكرة الجسد" بهذا النوع من الأمثال ولكن ما يلاحظ على هذه الأمثال للوهلة الأولى أنها صبت في قالب غير مباشر بحيث لا تتضح الرؤية مباشرة أو بطريقة صريحة بين المثل والمرأة وربما يعود ذلك الأسلوب الكاتبة غير المباشر لأنها استخدمت الرموز. ولكن يمكن لهذه العلاقة أن تتضح عن طريق التأويل والإيحاء ومن خلال ما دلت عليه في المتن الروائي.

وسنقصر دراستنا على بعض الأمثال الهامة والتي توضح دلالاتها، ولكن ينبغي أو لا أن نتعرف على ماهية المثل لغة واصطلاحاً وكذا الدور الذي يضيفه من الناحية النفسية.

المثل لغة: يقول ابن منظور:

"مثل كلمة تسوية يقال هذا مثل ومثله ومثله، كما يقال شبهه وشبهه"¹

ويقول أيضاً: "ويقال مثل زيد مثل قلان، إنما المثل المأخوذ من المثل والحدو."

ويقول كذلك: "وقد يكون المثل بمعنى العبرة."²

ويدعم هذا القول بقوله تعالى: "فجعلناه سلفاً ومثلاً للآخرين."³

هذا باختصار عن التعريف اللغوي أما المثل اصطلاحاً: فقد وردت عدة تعريفات مختلفة منها من ركز فيها على الشكل فقط، ومنهم من ركز فيها على المضمون، ومنهم من آثر التركيز على الوظيفة.

وفي ما يلي نورد مجموعة من التعاريف لبعض النقاد فنجد الدكتورة "نبيلة إبراهيم" تنقل لنا تعريفين الأول لمحمد رضا الشبيلي في تقديمه لكتاب الأمثال الشعبية البغدادية للشيخ جلال الحنفي إذ يقول: "الأمثال في كل قوم خلاصة تجاربهم ومحصول خبرتهم وهي أقوال تدل على إصابة الموجز، وتطبيق المفصل هذا ناحية المعنى، أما من ناحية المبنى فإن المثل يتميز عن غيره من الكلام بالإيجاز ولطف الكناية، وجمال البلاغة، والأمثال ضرب من التعبير عما تزخر به النفس من

¹- ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة: م-ل، دار صادر، بيروت، مجلد 11، ص 611.

²- المصدر نفسه، ص 613.

³- سورة الزخرف، الآية 56.

علم وخبرة وحقائق واقعية بعيدة كل البعد عن الوهم والخيال، ومن هنا تتميز الأمثال عن الأقاويل الشعرية.¹

فمحمد رضا الشيبلي: في تعريفه للمثل الشعبي نجده ركز على المعنى والمبنى وكذا الخصائص الفنية التي يتميز بها المثل عن الأقاويل الشعرية، فهو من حيث المعنى يعد محصول خبرة معنية أو قصة حدث في الواقع، أما من حيث المبنى فيتميز بمجموعة من الخصائص كما قلنا كالإيجاز وجما البلاغة ولطف الكتابة.

أما التعريف الثاني لأحمد أمين حيث يقول: "المثل نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ، وحسن المعنى ولطف التشبيه، وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منه أمة من الأمم ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب."²

والملاحظ من خلال هذا التعريف أن صاحبه ركز على الجانب الشكلي من إيجاز وجوده ولطف في العبارة.

أما إميل ناصيف فيعرفه بأنه "عبارة موجزة يستحسنها الناس ومضمونا وتنتشر بينهم ويتناقل الخلف عن السلف دون تغيير متمثلين بها غالبا في الحالات المشابهة لها ضرب ولها أصل، وإن جهل هذا الأصل فالمثل بالنسبة موجز العبارة متوارث من جيل لآخر يحوي على مضرب ومورد"³

أما فيما يخص المتن الروائي الذي بين أيدينا فمن أهم الأمثال الشعبية التي تترك الأثر في نفس القارئ وتجعله يبحث عن دلالة لها نجد المثل الآتي:

"زَيْتَنَا فِي دَقِيقِنَا..."⁴

¹ -نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص174.

² -المرجع السابق، ص175.

³ -إميل ناصيف، أروع ما قيل في الأمثال، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص07.

⁴ -أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص415.

أما عن دلالة هذا المثل في الرواية فيبدو ولأول وهلة يظهر شيئاً من التعصب وخاصة عندما يكون الزواج مرتباً حيث يكون الإختيار محسوماً من طرف العائلة، لا يعطي العروس حق الإختيار وحق التدخل في الموضوع، فزواج أحلام تلك الفتاة اليتيمة والتي تمثل "الحرية والوطن" تنساق وراء رغبات عمها كالشاة الوديعه وهذا قصد الحفاظ على المصالح المتبادلة فيما بينها، ومن جهة أخرى لأحد أن يطلع عليها.

إضافة إلى هذا يستوقفنا مثل آخر حيث يقول: "على بالك.... يقال أنهم أحضروا كل شيء من فرنسا.... منذ شهر والطائرة تنقل لوازم العرس..... يا حسرة.... قالك": 'واحد عايش في الدنيا.... واحد يوانس فيه'¹

والملاحظ لصيغة هذا المثل نجد دلالة واضحة على الطبقية في المجتمع فطبقة برجوازية مرهفة منعمة وطبقة أخرى تعيش على هامش هذه الفئة أو لنقل يعكس لنا حياة بعض النساء كذلك نجد فيهن فئة مدللة، ينعمن بحياة مترفة، وفئة أخرى من النساء اللواتي يملكن أي شيء سوى التحسر، وهذا ما أكدته الكاتبة حين قالت على لسان عتيقة: ".... لو رأيت جهاز العروس وما لبساتو البارحة.... يا حسرة....!"²

أما عن هذا المثل: "إن ما يفعله الرجال... طرز على أكتافهم"³ فهو مثل هادف ذا مغزى أخلاقي تربوي وهو مثل عادة ما يقوله بعض العجائز مثلما ما ورد في الرواية يعلمن النساء الصبر على خيانة أزواجهن وتقبل تلك الخيانة بفخر وكبرياء.

كانت هذه الأمثال الشعبية التي عاجلت سواء بشكل أو بآخر قضايا المتعلقة بالمرأة، وقد يتساءل البعض عن سبب توظيف الكاتبة لهذه الأمثال في المتن الروائي، حيث يرى النقاد أنه يهدف إلى تحقيق مغزى معين أو قيمة تربوية هادفة، فالمثل يسعى دائماً لخدمة الإنسان وذلك بدعوته إلى الفضيلة والأخلاق الطيبة وذلك لما تحمله كما قلنا نم قيم ولما يحويه من دلالات

¹ - أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص 366.

² - المصدر نفسه، ص 366.

³ - المصدر نفسه، ص 371.

وإجاءات وعبر، حيث تضع الإنسان أما حالات سلوكية معينة ولذلك نجد جل الأمثال الشعبية التي وظفتها الكاتبة كانت تخدم أفكارها.

وسواء أتعلق الأمر بالأمثال أو الأغاني أو الطقوس هذا التراث الشعبي بصفة عامة ما هو إلا دلالة واضحة على البعد الثقافي الذي ينصب الإيجاء فيه على الدلالة القديمة.

دون أن تتعدى هذه الدلالة التي أصبحت بمثابة الوضع والإنسياق إلى بث رؤى وأي إجاءات لا نهائية لمواقف جديدة يعاصرها الكاتب ويعايشها.¹

1-3 الأسطورة:

تعد الأسطورة أو الخرافة من أهم الوسائل الفنية التي إستخدمها العديد من الروائيين المعاصرين، حيث لم تعد مقصورة فقط على الشعر وإنما تعدت ذلك لتظهر بشكل واضح وجلي في العدد من الأعمال الأدبية المعاصرة.

وتتخذ الأسطورة أشكالاً وألواناً وأبعاداً متنوعة في الشعر والنثر العربي المعاصر فالأسطورة تعد شكلاً من أشكال التعبير عن العالم والإنسان في علاقتهما وتحولاتهما المستمرة، وبإمكان هذه الأشكال أن تتخذ طابع التغيير على الصعيد الدلالي وليس على مستوى الشكلي، ذلك أن المحمول الرمزي للشكل الأسطوري يتخذ أبعاداً متعددة توحى لمدلولات جما على إعتبار أن الأسطورة إنصهار في اللغة وإمتداد لكونيتها بخلاف الرمز الذي لا يرتبط إلا بالسياق الوارد فيه وما يميزها هو نزوعها الباطني نحو اختراق الآفاق المجهولة وتفجير جوهريتها الخبيثة.²

فالأسطورة إذن فضلاً عن أن لها جاذبة خاصة لا بد أن تعمل على الربط بين العالمين القديم والجديد، أو الخارجي والداخلي، بين المرئي والمحسوس، وغير المحسوس أيضاً لتربط بين العقل الباطن ونشاط العقل الظاهر وهذا لخلق نوع من التوازن.³

¹ -مصطفى عبد الغني، قضايا الرواية العربية، الدار المصرية اللبنانية، ص65.

² -عبد القادر فيدوح، الرؤيا والتأويل، ص106.

³ -مصطفى السعدني، التغريب في الشعر العربي المعاصر بين التحريب والمغامرة، قراءة في النص، قسم اللغة العربية، كلية الأدب، جامعة بنها، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ط)، (د.ت)، ص49.

وفي هذا التعريف التركيز على وظيفة الأسطورة فهي تربط بين المادي والمعنوي، المحسوس والملموس من أجل خلق نوع من الإبداع في العمل الأدبي.

ولقد حوت الرواية على هذا النوع أو الإبداع اللغوي صح التعبير لأكن بشكل يكاد ينعدم، حيث كان تواجد الأسطورة ضئيلا جدا مقارنة مع بعض الأعمال الروائية الأخرى وهذا راجع لطبيعة الموضوع المطروق، ولكن لا بأس من تسليط الضوء على هذه الخرافة أو الأسطورة والبحث عن دلالتها.

-الأسطورة اللغة:

جاء في لسان العرب "الإبن المنظور": الأباطيل والأساطير: أحاديث لا نظام لها واحدها إسطار وأسطارة بالكسر وأسيطرة، وأسطورة بالضم.

وقال: قوم أساطير جمع إسطار، وإسطار جمع سطر.

وقال أو عبيدة: جمع سطر على سطر ثم جمع سطر على أساطير.

وقال أبو الحسن: لا واحد له قال اللحياني: واحد الأساطير أسطور وأسيطر وأسطره إلى

العشرة وقال ويقال سطر ويجمع على العشرة أسطارا، ثم أساطير جمع الجمع.¹

-الأسطورة اصطلاحا:

فتعرفها الدكتورة نبيلة ابراهيم في كتابها اشكال التعبير الادبي: هي محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة، أو هي تفسير له، أنها نتاج وليد الخيال ولكنها لا تخلو من منطق معين ومن فلسفة معينة أولية تطور عنها العلم والفلسفة فيما بعد². من خلال هذا التعريف نلمس بأن الدكتورة نبيلة ابراهيم تحاول ربط الأسطورة بالظواهر الكونية المختلفة وأنها ضرب من الخيال لا تخلو من فلسفة باعتبار هذه الفلسفة ساهمت فيما بعد في تقدم العلم وروقيه. هذا عند العرب أما

¹-ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مادة س-ط-ر، المجلد: 4، ط1، 1994، ص363.

²- نبيلة ابراهيم، اشكال التعبير الادبي، ص18-2.

عند الغرب نجد "السيدة لانغز" تعرفها قائلة: من اجل التفكير الميتافيزيقي، واول تجسيد للأفكار العامة.¹

وهنا تؤكد صاحبة هذا التعريف على الجانب الفكري في الأسطورة وعموما فالأسطورة أو الخرافة هي شكل من الأشكال الأدبية ظهرت في مرحلة معينة مع الإنسان البدائي لمحاولة تفسير مختلف الظواهر الطبيعية، وأصبحت توظف من طرف الإنسان أو الأديب المعاصر في مختلف الأشكال الأدبية كأداة أو وسيلة لسقل أفكاره .

ومن الاساطير أو الخرافات التي استخدمتها الكاتبة مستثمرة بذلك المعتقدات الشعبية القسنطينية السائدة في تلك المنطقة والمتداولة بين كافة الناس أو بين كافة الأوساط الشعبية نجد: لو كنت "خطاف العرايس" ذلك البطل الخرافي الذي يهرب بالعرايس الجميلات ليلة عرسهن، لجتك منتطيا الريح وفرنسا بيضاء... وخطفتك منه...² فخطاف العرايس هو ذلك البطل الاسطوري الخرافي الذي يقوم بخطف النساء الجميلات ليلة زفافهن، فهي أسطورة شائعة ومتداولة لأنها جزء من الموروث الثقافي.

فخالد أراد أن يتقمص هذا الدور، دور البطل الخرافي ويقوم بخطف حبيبته، كما اراد أن يتقمص هذا الدور، دور البطل الخرافي ويقوم بخطف حبيبته، كما اراد أن يغير بعد ذلك مجرى الأحداث لصالحه بقوله: لو كنت لي... لباركتنا هذه المدينة ويخرج من كل شارع عبرناه ولي بحرق البخر على طريقنا...³

فعدم قدرة خالد على مجاهدة الواقع وتحديه ورفضه له من جهة أخرى هو ما جعله يستعين بهذا الكائن الخرافي كوسيلة للهروب من هذا الواقع .

¹ - عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1978، ص 15

² - احلام مستغاني، ذاكرة الجسد، ص 430 .

³ - المصدر نفسه، ص 430 .

ولعل هذا السبب الذي جعل الكاتبة تلجأ وتستخدم هذه الاسطورة، فحالة خالد ماهي الا انعكاس لحالة الكاتبة فكلاهما أراد الهروب من واقع معين بسبب العجز على تحدي ومجابهة هذا الواقع .

ويرجع البعض من النقاد السبب في توظيف الأسطورة إلى عدة عوامل منها:
- تأثر آباؤنا العرب بغيرهم من الغرب على اعتبار أنهم اول من وظف الأسطورة في آدابهم وهذا ما يؤكد عبد الرضا علي حيث يقول:

"لابد من التأكيد هنا على أن الكتاب الغربيين هم الذين أوحوا إلى كتابنا وشعراءنا بالعودة إلى عالم الاساطير¹ ."

في حين يرى " التونجي":

...."فهم يريدون أن يكتشفوا المجهولات القديمة، ويكتشفوا ما وراء الطبيعة من خيالات ومجهولات² ."

كانت هذه جماليات الأسطورة وسبب توظيفها، وعموماً فهي تعكس لنا مدى تعلق الكاتبة بجل التراث الشعبي حتى الاساطير والخرافات .

¹ - عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، ص21.

² - محمد التونجي، الاداب المقارنة، دار الجبل، ط1، 1995، ص55.

الفصل الثالث: الشخصية النسوية

في رواية ذاكرة الجسد

المبحث الاول: أنواع الشخصيات في الرواية -دراسة حسب فيليب هامون-

المبحث الثاني: بنية الشخصيات في المكان الروائي ذاكرة الجسد

المبحث الثالث: بنية الشخصيات في الزمن الروائي ذاكرة الجسد.

تعد الشخصية عنصرا هاما من عناصر البناء الرواية، ومن الصعوبة فصل هذا العنصر عن غيره، فهو يرتبط بالحدث، ويجسم الفكرة التي تنطلق بها الرواية وعن طريق تصرفات الشخصيات وعلاقتها المتشابكة تنمو الاحداث، كما أن الحدث بدوره يؤثر في الشخصيات ومن ثم تكتسي أهميتها في العمل الروائي¹.

ولقد تعددت مفاهيم الشخصية وتعريفاتها بين النقاد العرب والغرب، فجد الناقد الغربي "لوتمان" يعرفها قائل: الشخصية هي مجموعة من السمات المختلفة والسمات المميزة ف"لوتمان" يركز من خلال هذا التعريف على التميز والنقود².

أما عبد المالك مرتاض يعرفها فيقول: الشخصية هذا العالم الذي تتمحور حوله كل الوظائف والهواجس والعواطف والميول، الشخصية هي مصدر افراز الشر والسلوك الدرامي داخل عمل قصصي ما³.

أما بشير بويجيرة فيقسم الشخصية إلى قسمين:

الشخصية المنتمية ويندرج عنها مجموعات أخرى من الشخصيات كالشخصية الاقطاعية، البورجوازية، الثورية، والشخصية الأيديولوجية.

أما الشخصية اللامتنية فتحتوي الشخصيات الرمزية، الهامشية، والمستلبة، والاجنبية كما يميز فليب هامون بين ثلاث انواع من الشخصيات:

-الشخصية المرجعية: Personnage Refrentiel-

وهي التي تحيل على معنى جاهز⁴ وثابت تفرضه ثقافة ما، بحيث تظل مقروئيتها دائما مقترنة بدرجة مشاركة القارئ في تلك الثقافة ومن هنا يمكن أن نقول إن الشخصية المرجعية تحيل على

¹ - صالح مفقود، المرأة في الرواية الجزائرية، ص363

² - نبيلة زويش، تحليل الخطاب السردي في ضوء المنهج السينمائي، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، ط:2003

³ - شريط احمد شريط سمائية الشخصية الروائية، تطبيق آراء فليب هامون على شخصيات رواية غدا يوم جديد، عنابة، الجزائر، د.ط 1995، ص214.

⁴ المرجع السابق، ص214-222

واقع خارج النص يفرزه سياق اجتماعي معين للأديب "عبد الحميد بن هدوقة"، السميائية والنص الادبي، أعمال الملتقى معهد للغة العربية وادبها جامعة باجي مختار .

-الشخصية الواصلة Personnage Endrayeur :

وهي شخصية تدل على حضور المؤلف أو القارئ وعادة ما تنطبق الشخصية في هذه الحالة باسم المؤلف، من أمثلة ذلك شخصية احلام في هذه الرواية¹

فئة الشخصية المتكررة:

وتقوم مرجعية النسق في هذا هويتها بمفردها إذ تقوم الشخصيات بنسج شبكة من الاستدعاءات والتذكارات مثل: استدعاء جزء من جملة أو فقرة.

وفي تحليلنا للشخصيات النسوية ارتأينا أن نعتمد على تقسيمات أو نظرية فليب هامون باعتباره الأنسب في التحليل سواء النفسي أو الاجتماعي لأن هذه الشخصيات تعكس لنا الواقع الاجتماعي أو السياسي المعاش .

¹المرجع نفسه، ص222

المبحث الأول: أنواع الشخصيات في الرواية حسب دراسة "فيليب هامون"

1- الشخصيات المرجعية:¹

1-1- الشخصيات الاجتماعية

1-1-1- شخصية أحلام:

وهي شخصية مرجعية تعكس لنا المرجعية الاجتماعية للمواطن الجزائري بصفة عامة والتي ميزها الاستغلال فهي شخصية تعكس لنا ما نالته عائلات المجاهدين أو الشهداء من الجاه، ومنصب عقب الاستقلال وما يؤكد ذلك لوازم الزفاف التي أحضرت خصيصا من فرنسا تقول عتيقة " على " على بالك، يقال انهم احضروا كل شيء من فرنسا.... منذ شهر². " أحلام " شخصية حملت عدة اسماء، تدل على عدة معاني، فهي الوطن احيانا " مرتبكا جلس الوطن وقال بنجل: عندك كاس ما.... يعيشك؟ وهي قسنطينة احيانا اخرى: حكمت عليك أن تكوني قسنطينة ما.

وكانت التوأم للوحة "حنين".

هذه الشخصية الرواية حبيبي "خالد" فقصدت بها الرواية كلها، فقد عكست صورة الوطن. في عذابه والامه، وما يرتكز ف حقه من أخطاء وجرائم باسم الوطنية وخدمة الوطن "احلام" في تركيبة اي حروف التي تكونه رموز فالأنف: الالم، تشطره الحاء، الحرقه، الميم، المتعة، لام التحذير. وعموما " فأحلام" من الحلم وهي احلام الشهداء الضائعة وهي الحلم المستحيل بالنسبة إلى "خالد تحلم احلام ابعاد رمزية " نلمس فيها المرأة الام والحبيبة وكل ذلك يأتي أو يبدو جليا في قول خالد: كنت اتدحرج يوما بعد آخر نحو هاوية حبك، اصطدم بالحجارة والصخور، وكل ما في طريقي من مستحيلات، وتكني كنت احبك، ولا انتبه اثار الجراح على قدمي....³

فأحلام بالنسبة لخالد تمثل التي رباها صغير وكان شاهد على ولادتها ليتحمل في الكبر أعباء

¹ -احلام مستغافني، ذاكرة الجسد، ص366

² -المصدر نفسه، ص137

³ -المصدر السابق، ص158

ومشاكل حبه لأنها الطفلة التي كانت شاهدة على حياتها إلى أن كبرت ونصحت وأصبحت مغربية، إذن فأحلام تمثل لخالد المرأة الحبيبة التي ارتبط بها ارتباطا جنونيا ابتداء من ولادتها إلى يوم الذي تزوجت فيه، فحضورها يوقض رجولته وعطره يستغزه ويستدرجه أحيانا إلى الجنون حتى عيناها وهي تمطر حزنا، كانتا تجردانه من سلاحه، في كل طرق قسنطينة كانت تؤدي لها، الشوارع، المقاهي، المقابر، يقول خالد: "..... كانت كل طرق تؤدي اليك، حتى تلك سلكتها لنسيان، والتي كنت تتربصين لي فيها كل المدارس والكتائب العتيقة كل المآذن..... كل البيوت العتيقة.... كل السجون، كل المقاهي..... كل الحمامات التي كانت تخرج منها النساء امامي جاهزات للحب، كل الوجوهات التي تعرض الصيغة والثبات الجاهزة للعرائس¹ فكل شبر في هذه الأرض يؤدي إلى الحبيبة " أحلام"، أحلام المرأة والحبيبة التي اعشقتها وأحبها إلى حد الجنون. كما حصلت في علاقتها مع خالد الامومة، فاحبها، ولمس فيها الدفء كنت تعرضين علي امومتك، انت الفتاة التي كان يمكن أن تكون ابنتي، والتي أصبحت دون أن ادري...امي. ومن ثم فعلاقة خالد بأحلام هي علاقة رمزية أيديولوجية أكثر منها علاقة عاطفية بالمعنى الطبيعي والتقليدية والعادي².

"أحلام" هي امرأة على شاكلة وطن، الوطن الذي حملت ملامحه، وحفرياتة وكل ما ميزه خالد يا امرأة كساها حنيني جنونا، وإذا تأخذ تدريجيا، ملامح مدينة حنيني جنونا، وإذا بها تأخذ تدريجيا ملامح مدينة وتضاريس وطن.... فهذه المرأة ابنة " سي طاهر" وكلام عن حياتها عن مولدها هو كلام عن التاريخ³.

الثورة الجزائرية وأحلام الشهداء التي تجسدها هذه الفتاة، فعندما يتذكرها " خالد" وهي طفلة يتذكر اصدقائه من المجاهدين والشهداء والأحداث الكبرى الأليمة على تاريخ الثورة وما بعده، وهكذا أصبح خالد عبدا الى هذه المرأة وبالتالي لهذه المدينة وهذا الوطن.

¹ -المصدر السابق، ص390

² -المصدر نفسه، ص136

³ -المصدر نفسه، ص17

ورمز المرأة الوطن أو الأرض لم يكن جديدا، فقد تنبعت له الاساطير السومرية القديمة حين ربطت بين الأرض والمرأة لأنها تتميز بالانسحاب وتلك الميزة التي تتميز بها الأرض أما فعبدها الإنسان السومري وصورها على شكل امرأة.¹

وقد اعتمدت الروائية على رمز المرأة للدلالة على الوطن من هنا احسنت الروائية حين ربطت بين مسير الجزائر الثورية ومسير احلام حين كانت طفلة إلى أن أصبحت حبيبة مجاهد خالد.ف. "أحلام" وقينطينة عينة من هذا الوطن في كل شيء ما يقره خالد في قوله: ".....كنت في النهاية كالوطن، كان شيء يؤدي اليك إذ مثله كان حبك تواسلا حتى في ضده وفي صمته مثله كان حبك حاضرا بإيمانه وفكره."²

ومن الإجراءات ودلالات " أن الامكنة في الرواية حين يتحول الى رمز يسير هذه المرأة الطالبة التي ترمز للوطن كجغرافيا، بل ترمز للوطن والمرأة بمختلف الأوجه والأبعاد فهي احلام الشهداء وسيلة للثورة، وكلاهما الوطن والمرأة يتعرضان للانتهاك على مرأى التاريخ.³ والمتأمل لهذه المقاطع يجد المرأة احلام بالنسبة ل خالد تمثل قسنطينة بأكملها وفي الوقت نفسه هي الجزائر، فإذن حب خالد لوطنه هو أشبه بحب رجل لحبيبته مستعد للتضحية من أجلها.

2-1-1 شخصية كاترين:

لقد أعطت الروائية الجزائرية أهمية كبيرة للشخصية الاجنبية، واستندت لها دورا بارزا في تعقيد الأحداث وتطورها، وفي نمو شخصيتها وتنوع توظيفها بين الرجل والمرأة فالرجل كانت تغلب عليه سمة الشذوذ خلقا وخلقا في حين اختلفت الرؤى حول توظيف المرأة وبناءها، ففريق جعلها في غاية النيل والانسانية، كالطاهر وطار "ابن هدوكة" وفريق آخر غلب عليها اوصاف وعواطف شديدة حيث جعلوها مستغلة وذات رغبة جامحة في السيطرة على كل ما هو جزائري وبذلك

¹-يوسف حي، الإنسان والارض، مجلة آفاق عربية، ع:1979، 09، ص85

²-المصدر السابق، ص28.

³-صالح مفقودة، قسنطينة والبعد الحضاري للمكان، مجلة العلوم الإنسانية، ع:13، 2000، ص245-25.

كانت المرأة عند هذا الفريق مرتاض، لقطاس سعدي قشرة براقعة لواقع متعفن¹، غير أن الروائية "مستغانمي" تجاوزت هذه النظرة للمرأة الغربية، وحالت النظر كشخصية تمارس وجودها بسلاح خلاص واغراء.

"فكاترين" هي الموديل الفرنسي، الساحر، الفاتنة، المثيرة وذات الرغبة الجارحة في اغراء الرجال فهي تعيش جوع جنسي - كأى نموذج نسوي اوروبي - له هذه المشكلة هذا عن واقع في النص الروائي، أما إذا تعمقنا أو بحثنا عن دلالاتها الطاغية فنجد كاترين هي فرنسا هي الحضارة الأوروبية الطاغية المنحرفة، فقد حاولت ابتلاع خالد بعدما اكتشفت براعته في مجال الرسم والمكانة التي يتصدرها بصفة رسام مشهور.

وفكرت توظيف أحلام مستغانمي الشخصية الأجنبية تلتقي فيها مع روايات عربية أخرى احسن مثال على ذلك رواية "الحي الاتيني": لتسهيل ادريس التي كانت تحكي قصة حب "جانين" الشابة الغربية مع الشاب اللبناني "العقل" ثمة تجسد وضعية الشباب العربي القلق الذي يبحث عن نفسه في الغربية² والمتابع لأحداث نجد أن الشخصية خالد وعلاقتها بشخصية كاترين ترمز الى بقايا الاستعمار الفرنسي الذي بقي يلاحق خالد حتى بعد الاستقلال اي رمز التبعية الجزائرية الفرنسية وهذه العلاقة تجسد لنا فكرة اصطدام الشرق بالغرب، هذه فكرة قديمة جديدة في الادب العربي وهذا الاصطدام وضعته الروائية في علاقة جسدية³ فعلاقتها خالية من الروح خلة الحضارة الفرنسية الزائفة المبنية على المادة، فمحاولة كاترين استغلال نقطة ضعف خالد (ذراعه المبتورة) لأجل تحقيق اغراضها واتباعها ملذاتها الجنسية دليل كافي لإبراز الوجه المزيف لفرنسا التي تعتمد دائما على استخدام الممارسات اللاشرعية.

3-1-1-1 شخصية العجوز "أم خال": فهي امرأة بسيطة، عانت وقاست الكثير في حياتها التي كانت مواسم الفجائع والأحزان حزن على ابنها وحزن على نفسها بسبب ظلم زوجها وخيانتة وانشغاله

¹ - بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، ص 189

² - كريش شايد، الحي الاتيني بعد 70 ألف نسخة، الجنس، الكذب، الابداع، مجلة الادب، بيروت-لبنان ع. 09-10، 2000، ص 21

³ - فريد نقاش، قراءة نقدية في ذاكرة الجسد، مجلة العربي، ع. 457-1996، 1996، ص 112

بتجارته وعشيقاته فقد كان أبي يطرز مغامرته جرح ووشما على الجسد أما... وهي امرأة واقفة على حافة الياس والحزن كما تصفها الروائية راكضة دوما بين السجن والاولياء الصالحين، فهي ساذجة في تفكيرها، وبخائنها وطبيعتها بصرها وتحدياته ماهي الا انعكاس لما تعانیه المرأة الجزائرية على وجه الخصوص ايام الثورة التحريرية .

إذن هي نموذج للمرأة المثالية النمطية المرتبطة فقط بالبيت، والروح والمحرومة من تفاعل الخارجي بالمجتمع فهي امرأة لا تعيش لنفسه بل لغيرها.

4-1-1- شخصية "أم احلام":

وهي زوجة الشهيد "سي طاهر" التي لم تستمتع بحياتها الزوجية الا شهرا مسروقة من العمر إذ ذهب زوجها وتركها حامل، فهي كانت قليلة الحديث عن زوجها تعلم عنه كل شيء عن نشاطه السياسي وعن التحاقه بالجبهة، كما كانت تعلم أنه سيعود إليها جثمانه¹ . فهي اذن تمثل صورة المرأة السلبية أو لنقل صورة المرأة المتفوقة، المحروم من التفاعل الخارجي بالمجتمع فهي لا تملك الحق حتى إدارة شؤونها الخاصة هكذا يعكس الضغوطات النفسية والاجتماعية التي تمارس على المرأة حيث تجبر احيانا على القيام ببعض الأمور .

5-1-1- شخصية عتيقة:

وهي زوجة "حسان" تلك المرأة الشابة، التي دائما تسعى إلى تعبير وضعها مهما كلفت الامر، فأحيانا تصل إلى حد الشجار مع زوجها محاولة إقناعه بالتخلي عن البيت القديم وشراء البيت الجديد.

اضعف إلى ذلك طلباتها المستمرة التي لا تتوقف ابدا نتيجة تأثرها بما تراه من مسلسلات التي تعرض على قناة التلفزيون، أو عند ذوي الطبقات البرجوازية والثرية² .

¹ - احلام مستغانمي ذاكرة الجسد، ص367

² - احلام مستغانمي ذاكرة الجسد، ص367

فهي انعكاس المرأة المتردة على الأوضاع الثائرة على الواقع المعاش التي تطمح دوماً إلى كسر الروتين المعتاد حيث يقول "حسان" على زوجته العنيدة كيف يمكن أن تقنع امرأة تشاهد المسلسل "دلاس" على التلفزيون، أن تسكن بيتا كهذا وأحمد الله....¹

2- الشخصية الواصلة:

أما الشخصية الواصلة التي تحمل افكار الكاتبة وتمثل شخصية البطلة أحلام حيث نجد تقاطعا كبيرا بين الشخصية احلام وشخصية الكاتبة احلام مستغامي فعودة احلام هي استرجاع لتاريخ وعودة للذاكرة التي كانت على وشك النسيان، فبعد هذا الاشتياق الطويل كان لابد من اللقاء يوما ما، مع الذاكرة، لقاء مع الوطن فهي بالنسبة لـ "خالد" ميلاد الآخر على يدها، كنت اتصرف على حدس مسبق، وكان التاريخ منعظا للذاكرة كأنه سيكون ميلادي على يدك² كيف اشرح لكي أنني كنت مشتاق اليك دون أن ادري....³ فكل حدث وقع لـ "أحلام" ما هو الا انعكاس الوطن وما هو به من مصائب وخطوب، حتى هذا الانتظار والاشتياق كان اشتياق للوطن، واستسلام أحلام لهذا الزفاف وقبولها به بجسد لنا أو يعكس لنا موقف الروائية احلام مستغامي "الرافض الذي يعطي البديل، بل موقف المستسلم الذي يترك الأمور تضيع وتفلت من بين يديه دون مقاومة وفعالية وهنا يمكن التقاطع بين الشخصيتين شخصية "أحلام" الكاتبة وأحلام البطلة وهذا التقاطع يكمن في الاستسلام. ومن الشخصيات الواصلة نجد شخصية "كاترين" التي تحمل افكار الكاتبة وهذا الشكل من الشخصيات الاجنبية لم يكن اعتباريا بل يعكس لنا الإيديولوجية الثورية للكاتبة، وأفكارها المناقصة للاستعمار حيث جسدت لنا من خلال قول خالد كان بيتنا تواطؤ جسدي ما، يشيع بيننا تلك البهجة الثنائية... التي تمارسها دون قيود... بشرعية الجنون "فهذا النمط العاطفي، وهذا التواطؤ الجسدي والحرية الجنسية أن وضع التعبير، لا يعني المتعة بل يحمل طابع الانتقام وهذا ما يشير إليه بعض الأدباء حيث يرجعون المتعة

¹ - احلام مستغامي، ذاكرة الجسد سابق، ص 3531

² - احلام مستغامي، ذاكرة الجسد، ص 76- 2 احلام مستغامي، مصدر نفسه، ص 77

³ -

لأسباب الرغبة الجنسية إلى عوامل نفسية صرفة وكان ممارسة الجنس بالأجنبية وخاصة بالفرنسية يحمل طابع الانتقام من الفرنسيين وبالتالي فإن توظيف الشخصية الأجنبية من قبل الكتابة في هذه الرواية تعكس لنا الصراع الحضاري بين الغرب والعرب، إضافة إلى ذلك تصور لنا العلاقات التاريخية بين البلدين فرنسا والجزائر، فـ "كاترين" فرنسا في حين "احلام" صورة الجزائر. وبهذا تعد الشخصيات في الرواية هي العمود الفقري لبناء الروائي، خاصة إذا ربط بالمكان والزمان.

المبحث الثاني: بنية الشخصيات في المكان الروائي "ذاكرة الجسد"

لقد كان للامكان في رواية "ذاكرة الجسد" دورا كبيرا في الكشف عن مواقف الشخصيات باعتبار أن المكان في العمل الإداعي، هو امتداد للشخصية يستمد منها حيوية فيتميز عن المكان الواقعي الطبيعي، بحمية خاصة، تفتح في الانطباع النفسي، الذي تولد علاقات الشخصيات بالمكان، ثم الانساب المكانية، التي يبدعها الكتاب في النص الروائي، تكتسب دلالات ومعاني شتى، من خلال تجسدها المكاني للعديد من القيم الاجتماعية، والانسانية والسياسية والأخلاقية والدينية¹.

وعلى هذا يمكن تصنيف الاماكن إلى نوعين:

الأماكن المغلقة:

وهناك من يطلق عليها اماكن الإقامة الاختيارية طالبين والاجبارية كالسجن...².

الاماكن المفتوحة:

او هناك من يصفها بأماكن الانتقال، والتي تعد اماكن عامة تعبرها الشخصيات، وتتحرك عليها الحياة وذلك مثل: الجسور، الشوارع³.

وتتحرك شخوص رواية "ذاكرة الجسد" في أماكن مركزية (مغلقة) هي قسنطينة، تونس، باريس، اماكن حيزية، (مفتوحة) كانت تظهر بظهور الشخصيات وتنقلها من واقع الى اخر.

¹ - الطاهر روائية، الفضاء الروائي في الجازية والدراويش ل"عبد الحميد بن هدوقة"، دراسة المبني والمعنى

² - صالح مفقود، نصوص اسئلة، دراسات في الادب الجزائري، منشورات اتحاد كتاب العرب الجزائريين الثلاثي الثاني، دار هومة ط1، 2002ص 36.

³ - المرجع السابق، ص36.

1-الاماكن المغلقة

1-1-البيت العائلي:

تضعها الرواية في البيت العائلي لـ "خالد"، وقد عرضت عليه عتيقة أرملة حسان انكلنيريد شرب قهوة، أخوه "حسان" مات منذ مدة قصيرة وفي احداث اكتوبر 1988.¹

وقد حضر خالد من فرنسا خصيصا لمواراة جثمان أخيه التراب، وهذا البيت يقع بمدينة قسنطينة التي تشغل الحيز الأكبر في الرواية ومحى "سي طاهر".² الذي اختفى من ذلك ملتحقا بالمجاهدين... ، كما يذكر حي "كوشة الزيات" على لسان المغترب "سي شريف" اخ الشهيد سي طاهر. ولا تخصص الرواية وصفا لهذا البيت العائلي، بل لاتذكر منه سوى الغرفة التي يقيم بها خالد والتي يفتح عادة شباكها فيدخل إلى الغرفة صوت مآذن واصوات الباعة والاغاني وبكاء الاطفال أو قد يشاهد الغابات والأشجار والجسور، ويسمع الحديث عن البيت العائلي بل الحديث عن البيت بأكملها، فالبيت هوية لمجموعة الشخصيات التي تتقاطع من خلاله³.

إن البيت كما يقال " هو الكون الاول للإنسان"⁴. ومن خلاله نرسم المشاعر والعواطف وهي الجوانب الهامة للنثر الادبي.

2-1 بيت الاغتراب-باريس:-

مقابل البيت العائلي بقسنطينة، نجد خالد يختار غرفة شاهقة في المدينة "باريس" مقابلة لـ "نهر السين" و"جسر ميرابو" غير أن هذه الغرفة لا تنال الكثير من الوصف في الرواية إلى حين زارتها الفتاة أحلام التي أعجبت بها، وبتشابهها تصرف خالد في غرفته بقسنطينة بتصرفه وهو بباريس إذ يلجأ دوما لفتح النافذة غير الفارق بين المكانين أنه باريس لا يهتم إلا بالضوء أو المطر حالة جو ولا علاقة له بالمدينة وحتى جسر ميرابو الذي يقابله لا يرسمه وانما رسم جسر اخر هو

¹ - احلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص463

² - المصدر نفسه، ص33

³ - صالح مفقودة، نصوص وأسئلة، ص361

⁴ - صالح مفقودة، نصوص وأسئلة، ص81

جسر قسنطينة وهذه الغرفة ليست بالنسبة إليه سوى مكان النوم والرسم ومكان لقضاء نعمه الجنسي مع كاترين التي كان له معها علاقة جنسية احلام التي زارته في معرض الرسم زياد الذي تعرف عليه سابقا في الجزائر والذي قام عنده مدة من الزمن في إحدى الغرف.¹

3-1-قاعة معرض الرسم:

وفيها التقى خالد لأول مرة ب"احلام" بعد مرور ربع قرن على اول قبلة وضعها على خدها الطفولي نيابة عن أب لم يراها كان هو الرسام وهي الزائرة الفضولية وفي هذه القاعة تعرفت على إحدى لوحاته الاولى حنين التي رسمها قبل خمسة وعشرين سنة.

4-1-السجن:

يتميز السجن بالانغلاق وتحديد حرية بحركته وخضوع المقيمين فيه للقانون الصارم وهو مصدر المرارة والألم الذي تتصح فيه مشاعر الشخصيات التي تتواجد بداخله ولكن السجن بالنسبة ل خالد كان بمثابة تجربة نضالية فقد دخل إليه ولأول مرة بسبب مشاركته في المظاهرات (8ماي1945) وهناك كان موعده النضالي مع سي طاهر الذي استدرجه إلى الثورة كان سي طاهر الذي استدرجه إلى الثورة.

5-1-تونس:

كانت مدينة تونس أبان الاستعمار تشكل قاعدة خلفية للمجاهدين ومكانا امنا لأفراد عائلاتهم زارها خالد جريحا وبأحد مستشفياتها بتر ذراعه والذي يهمننا من هذا المكان الواسع هو حيز البيت الذي اشتراه سي طاهر لأفراد عائلته هناك وقد تلعب هذا الحيز دورا هاما في بناء الرواية وفيه تعرف خالد على حياة احلام عندما كانت صبية تحابوا بفنائه وذلك بعد أن كلفه ابوها

¹ - باشلار جاستون، جماليات المكان تر: غالب هلسا، المؤسسة الوطنية الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 2، 1984، ص38-3صالح

مفقودة، نصوص وأسئلة، ص57

بتسجيلها في دار البلدية¹ وكانت تلك اول مرة سمعت فيها اسمك سمعته وانا في لحظة زيف... فتعلقت في غيبوبة بحروقه.

2-الاماكن المفتوحة:

2-1-الغابة:

تحدثت الروائية على لسان خالد عن الغابات المحيطة بقسنطينة وعن الممرات السرية بينها تلك الغابات التي كانت بمثابة حزام أمن للمدينة، أن هذه الغابات بدورها مجاهدة كونها اموت المجاهدين واخفتهم عن العدو ولم تكشف سرها الا لهم باعتبارهم أبناءها وبالرغم من أهمية الغابة في التحرر فإن الكاتبة احلام تشير لها مجرد إشارة من خلال صفحة واحدة في الرواية وتبدو على غير علم بطريقتها ومنعرجاتها فتكتفي بوصفها من بعيد إذ أن الناحية المرجعية مفقودة بالنسبة للكاتبة وليس مقنعا فنيا ولا مرجعيات أن يتحدث خالد عن مثل هذه الأمور بهذه البساطة.²

2-2-جسر مدينة قسنطينة:

في الرواية نجد الجسور بكثرة ولعل ذلك لا يبرز سوى معمار قسنطينة التي تكثر بها حتى سميت مدينة الجسور المعلقة فالمدينة مبنية على طرف صخرة يفصل بينهما وادي الرمل ويبلغ عرض ذلك الوادي العميق نحو مائة متر والمدينة مشرفة من ثلاث أطرافها على الهاوية وتتصل ببقية الأرض من جهتها الرابعة فقط ثم وقع وصل الطرفين³ ببعضهما البعض بواسطة جسور تعد آية من آيات الفن الحديث وتعرف بالجسور المعلقة⁴، وتقوم الرواية على لوحة تسمى "حنين" هي صورة لجسر في قسنطينة هو "قنطرة الجبال"، رسم خالد هذا الجسر بتلقائية عقب بتر ذراعيه رسمه تنفيذاً لوصية الطيب "يوغسلافي كابتوسكي" الذي قال له ارسم اقرب شيء إلى نفسك فرسم خالد جسرا أسماه حنين كان ذلك عام 1957، وهي السنة التي سجل فيها بدار البلدية الفتاة

¹ - الملتقى الخامس لابن هذوقة، اعمال وبحوث، ص 82

² - احلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص42

³ - صالح مفقودة، نصوص وأسئلة، ص37

⁴ - احمد توفيق المدني، كاتب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، وحدة الرغبة، الجزائر، (د.ط)،(د.ت)، ص130.

احلام وهنا نطرح تساؤل عن سر اختياره للجسر بالذات، وسر اهتمامه به وعموما كان الجسر رمز ابدى لمدينة قسنطينة ومن ثم رمز الجزائر وصمودها أمام الاستعمار في الماضي وأمام الفجائع في الحاضر.

3-2- الأسواق والشوارع:

تصف الكتابة افراج المارة وهم يجوبون الشوارع، كما تشير إلى الجموع الذاهبة إلى الصلاة، والبنيات دون وجهة محددة، والبطل خالد واحد من هؤلاء، يمشي مع جموع المارة حيث النساء متحففات بالسواد والرجل في بدلات رمادية متشابهة في إحدى جولاته بقسنطينة حين حضر زفاف احلام.

المبحث الثالث: بنية الشخصيات في الزمن الروائي "ذاكرة الجسد"

1-الزمن:

هو أحد المكونات لأي عمل سردي، كما عرفه عبد الملك مرتاض في كتابه "نظرية الرواية لأنه: مظهر وهمي بزمن الاحياء والاشياء، وفي التأثير الغير الوهمي الغير مرئي وغير المحسوس، والزمن كالأكسجين يعاش في لحظة من حياتنا وفي كل مكان في تحركاتنا لا نستطيع أن نلتمسه ولا نرى.¹ وقد أكد بعض الدراسيين ضرورة التطرق إلى الدراسة في الأعمال الأدبية خاصة السردية منها لأنه يمثل زاوية نظر جديدة تستحق أن ينظر ذلك منها إلى الإنتاج العربي، فهي مدخل جديد يتسم بالشمول والدقة.²

وهكذا فإن الزمن في النص الروائي "ذاكرة الجسد" فهو ليس الزمن الموضوعي الذي يقاس في الساعة بل هو زمن شعوري داخلي، وبذلك فإن الماضي يتقاطع مع الحاضر، ويسمى "برغسون"³ ب."الديمومة" ويرى أن هذا الزمان الشعوري ليس مجرد طريقة لقياس الواقع المتغير، لكنه الواقع ذاته.⁴ فالأديب، مهما تصرف في الزمن فهو لا يتعارض مع فرضية أن أساس الرواية قصة والقصة حوادث مسردة، ومرتبة وفق تسلسل زمني ومن هنا طرحت العلاقة بين الحكاية Temps de Histoire، والمقصود بالحكاية التخيلية، كما فرض انها وقت فعلا، وزمن السرد Temps de Récit وهو الزمن الروائي نفسه.⁵

والاختلاف الزمني لأحداث هناك يسمى بالمفارقة السردية، والمفارقة قد تكون مفارقة استرجاع Ratropection أو مفارقة استباق Anticipation مفارقة الاسترجاع تمكننا من استرجاع احداث ماضية أما مفارقة الائتلاف لا تسمح لنا بمعرفة الحدث قبل أوانه.⁶

¹ - عبد الملك مرتاض، في نظرية بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، د.ط، 1978م، ص22

² -عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية للكتاب، د.ط، 1988م، ص07

³ - صالح مفقودة، نصوص وأسئلة، ص14

⁴ - المرجع نفسه، ص14

⁵ - المرجع نفسه، ص15

⁶ -المرجع السابق، ص16

وفي رواية ذاكرة الجسد بدأت بالماضي ثم انتهت إلى الحاضر، فكان في الفعل الماضي دلالة على ملجأ ذاكرة خالد مثلما كان الحاضر لاجئا في ارض اخرى، ليست هي الأرض التي مات من أجلها سي طاهر وقطع ذراعه جزء حبه لها¹.

فالماضي بالنسبة لخالد هو رمز النقاء والصفاء والإخلاص للوطن الذاكرة أما الحاضر (الاستقلال) بالنسبة لهذه الشخصية خالد هو دلالة على الخيانة والانقلاب على مبادئ الثورة الأصلية فهو النقص بالنسبة للزمن الذي تعلق به -الماضي²- أما الوطن الذي عاد إليه اخر الرواية، فهو ليس ذلك الذي يعيش الضعف والتفكك، بل هو الوطن الذي يدل على فعل العودة نفسه من حيث التعبير عن تاريخ اخر مختلف عما مضى، ومن هنا فإن خالد غادر الأرض التي كانت تشعره بالغرابة والوحدة والمنفى، كما أن غادر زمنا اخر هو زمن الغربة النفسية إلى زمن الأمن واستقرار باريس.

وإذا جئنا في تفصيل الزمن نقول:

1-1 مفارقة الاسترجاع (السرد الاستذكاري): تحكي الرواية على الدوام قصة وقعت سابقا، وعلى ذلك، فإن فارقت الاستذكار تكون أكثر من مفارقة الاستباق وحين نتحدث عن المفارقة ينبغي مدى المفارقة، والمقصود بمدى المفارقة أو مدى الاستذكار المسافة الفاصلة بين السرد الحاضر وزمن الاستذكار، وهو ما يسمى بمدى المفارقة³ La Porte De Lamachronier ويمكن تقسيم السرد الاستذكاري (الاسترجاعي) في رواية ذاكرة الجسد إلى قسمين:

2-1 احداث 08ماي 1945م.

3-1 الثورة التحريرية الكبرى .

1-1-1-1 احداث 08ماي 1945م: ينتقل البطل الراوي الى هذه الأحداث عبر حديثه عن الثورة التحريرية، ويصور لنا ذكرياته في سجن (الكديا) قائلا: وكان سجن الكديا وقتها، ككل سجون

¹ - علال سنقوقة، المتخيل والسلطة في علاقة الرواية، ص 129

² - المرجع نفيه، ص 184

³ - صالح مفقودة، نصوص وأسئلة، ص 19

الشرق الجزائري، يعني فجأة من أغنى فائض رجولة، اثر مظاهرات 08ماي 1945...¹ ويقدم لنا هذا السرد الاستذكاري الاسترجاعي عدة أمور يمكن إجمالها فيما يلي: -تقديم البطل لنفسه، فقد كان يومها ابن 16 سنة، وكان يدرس بالثانوي وقد زج به في السجن لمدة ستة شهور .

-تقديم صورة عن البطل سي طاهر .

إن هذه مدى المفارقة بعيدا جدا نسيان، ولكن سعتها ليست كذلك، إذ لم تخصص الكتابة لها سوى صفحتين من الرواية 36-37.

2-1-1- الثورة التحريرية الكبرى: تعد الثورة التحريرية الحدث المرجعي الهام في الرواية، فالراوي يقوم بمفارقة سردية استرجاعية تبلغ ثلاثين سنة ليضعها في سنة 1957، متحدثا عن الشجاعة والاستشهاد، مازحا الحديث عن نفسه بالحديث عن رفاقه المجاهدين قائلا: كانت الثورة تدخل عامها الثاني ويتمي يدل شهره الثالث، ولم اعد اذكر الان بالتحديد في أي لحظة بالذات أخذ الوطن ملامح الامومة، واعطاني ما لم أتوقعه من الحنان العامر والانتماء المتطرف له.² إن المفارقة السردية الاسترجاعية لثلاثة صفحات (30-33) ثم يعود الراوي الى قسنطينة الحاضر، وهذه المرة الأولى التي تتكلم فيها الرواية عن الثورة ليعود مرة أخرى للثورة عقب الحديث عن 08ماي 1945م قائلا: اي صدفة... إن يعود القدر بعد عشر سنوات تماما، ليضعني مع سي طاهر في تجربة كفاحية مسلحة هذه المرة.

ويعدد الراوي هذه المرة زمن التحاقه بالجبهة ايلول 1955م ويذكر لقائله مع سي الطاهر والذي عمل معه وحصل على رتبة ملازم، مما مكنه من إدارة بعض المعارك بنفسه، ولكنه حدث أن شارك في معركة على مشارف باتنة، وفي هذه المعركة اصيب ذراعه ونقل إلى تونس، وهناك تبتز ذراعه اليسرى وهذا دليل على نفسيته المتشعبة بالروح الوطنية حيث قدم ذراعه في سبيل الوطن

¹ -احلام مستغاني، ذاكرة الجسد، موفم للنشر، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة، الجزائر 1993م، ص 36

² - المصدر نفسه، ص 32

كما نخبرنا أنه قبيل مغادرة الوطن للمعالجة اوصاه القائد سي الطاهر في أن يزور بيت هذا الاخير، لتسجيل المولود الجديد سي الطاهر وقد قال له عن الاسم الذي لا يذكره خالد صراحة، وليكن يقول عنه بين الف الالم ومين المتعة كان اسمك تشطره حاء الحرقة... ولا التحذير، فكيف لم احذر اسمك الذي ولد وسط الحرائق الاولى شعلة صغيرة في تلك الحرب... كيف لم احذر اسما يحمل ضده ويبدأ ب اخ الالم واللذة معا.¹

ويعود الاستذكار، مرة أخرى ليحدثنا خالد عن رسمه للوحة حنين، عقب استئصال ذراعاه، فلقد نصحه الطبيب برسم اقرب منظر إلى نفسه .

يقول: وها هي حنين لوحتي الاولى وجوار تاريخ رسمها تونس 1957توقيعي وضعته لأول مرة أسفل لوحة تماما كما وضعته أسفل اسمك، وتاريخ ميلادك الجديد، ذات خريف من سنة 1957، وانا اسجلك بدار البلدية لأول مرة...²

إن المفارقة الاستراتيجية المتعلقة بالثورة التحريرية تتكرر وعقب كل استذكار يتحول والسرد إلى حاضر، ومن بين الاستذكارات المهمة زيارة البطل لبيت سي الطاهر تونس، ويركز فيها الراوي على الأمور التالية³:

-وصف البيت من الخارج والداخل "احببت ذلك البيت... بدوالي العنب التي تتسلق جدران حديقته الصغيرة وتمتد لتدلى عن قيد ثريات سوداء على وسط الدار، شجرة الياسمين التي ترمي وتطل من الصور الخارجي،... فتبعث معها الطمأنينة ودفئا غامضا يستقبلك هناك".⁴

-استقبال جدة الفتاة أما الزهرة له ع السلامة...جوز يا ولدي جوز.⁵

¹ - المصدر نفسه، ص 38

² - المصدر السابق، ص 42

³ - المصدر نفسه، ص 73

⁴ - المصدر نفسه، ص 130

⁵ - المصدر نفسه، ص 129

- وصف الفتاة بقوله: حتى ظهرت انت في طرف الغرفة الصغيرة كدمية، وحبوت... سحبها إلى الأرض وقتها.¹

- وتسجيلها في دار البلدية، في 15 ايلول 1957م توقفت فقط عند ذلك اليوم 15 ايلول 1957م، الذي وقفت فيه اسمك النهائي²

وبهذا يعد الجانب الجمالي للشخصيات في البناء الروائي عملاً مميزاً ومنفرداً خاصة وأن الروائية تريد منه رصد الجانب الاجتماعي والسياسي في الرواية.

¹ - المصدر نفسه، ص 130

² - المصدر السابق، ذاكرة الجسد، ص 133

خاتمة

وأخيرا وبعد هذه الجولة التي جئناها في فك الادب الجزائري لرصد صورة المرأة، خلصنا النتائج التالية: إن المرأة كانت ومنذ القدم ولا تزال إلى حد الساعة الأوحى لمن انهكته الخطوب وأحاطت ب هبة المصائب حيث نجد الشاعر أو الأديب يتوحد بها ويتدثر بدفئتها، ولكن بالرغم من هذه المكانة المرموقة والمعتبرة فإننا نلتمس انعكاسا بصورتها في بدايات الشعر الجزائري الحديث، الا في قلة قليلة من الشعراء تصدرت قصائدهم عناوين مؤنثة - . أن جل الشعراء أو الأدباء حاولوا أن يستحضروا الصورة المثالية الأقرب الى الخيال منها إلى الواقع، فلنلتمس ملامح هذه الصورة المتخيلة للمرأة في ظل النهضة العلمية المأمولة، - وأن المثن الشعري المعاصر خاصة، وبالرغم من المضامين الاصلاحية، إلا أنه يحتفي بكل مظاهر الانوثة، حيث غدت المرأة صورة للوطن المسلوب ام صورة للحرية... الخ، وهذا ما نجد في كثير من التجارب الأدبية الشعرية كانت أم نثرية - .

أما بالنسبة للملاحظات الخاصة بالرواية والتي تعد نموذج دراستنا كما أسلفنا الذكر قد تصدت لمعالجة موضوع المرأة وصراعها من أجل التقدم ورفضها المنطق الوصاية، كما استطاعت رصد ملامح صورة المرأة سواء الإيجابية منها أو السلبية وأحلام مستغامي واحدة من هؤلاء حيث تطرقت الى مجموعة من القضايا السياسية والاجتماعية والدينية، واجادت في وصف الواقع بكل تفاصيله مستخدمة منذ البداية اسلوب المخاطبة إذ يخاطب البطل فتاة جزائرية وما يلاحظ على هذه الرواية:

- أن احلام مستغامي استطاعت الربط بين المرأة والمدينة وحيانا أخرى بين المرأة والوطن الجزائر ويتراءى لنا ذلك من خلال التسمية متشابهة لأن كلاهما اسم مفرد يدل على الجمع الجزائر، احلام - . نجد تقاطع كبير بين شخصية احلام البطلة وشخصية احلام الروائية.

- الربط بين مخاطبة المرأة والمدينة واضح تماما وتدعمه الكاتبة بإجراء شبه مقارنة بين الاثنين استنادا إلى بعض الأقوال الأدبية المأثورة

- اتخذت الروائية من البطلة احلام صورة لمدينة قسنطينة أو لنقل رمز لقسنطينة بما فيها ومن فيها، بحاضرها وماضيها وماتمها واعراسها، واولياءها، ومن خلال هذه الصورة قدمت لنا وصفا دقيقا

ومفصلا لهذه المدينة فهي عينة لتصوير الوضع الاجتماعي والسياسي للبلاد- .اما بالنسبة لشخصيات الرواية وخاصة النسوية منها والتي أخذت حيزا معتبرا من الدراسة، وما يلاحظ أن الكاتبة كانت جد دقيقة وبارعة في اختبار شخصوها، وخاصة فيما يتعلق بدلالة الاسماء وعلى رأسها شخصية البطل احلام التي وصفتها بدقة وبراعة متناهية لا نظير لها فاسمها كما تقول: بين الف الالم... ميم المتعة كان اسمها، تشطر حاء الحرقة... ولام التحذير، يحمل ضده ويبدأ ب: " اح الالم واللذة معا، اسم مفرد يدل على الجمع كاسم هذا الوطن- .اضافة إلى كل ما قيل حول هذه الرواية نجدها خليط متجانس من التراث الشعبي، والذي ترمز من خلاله إلى إثبات الهوية الجزائرية وترسيخها.

وتوظيف التراث الشعبي ما هو الا دلالة واضحة تعكس لنا مدى تمسك الكاتبة لهذا التراث القسنطيني الجزائري وحنينها إليه.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ-القران الكريم

ب-المصادر

1. ابن المنظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة: م-ل، دار صادر، بيروت، مجلد11
2. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الآداب للطباعة والنشر، الجزائر، ط2
3. احلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، موفم للنشر، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر1993م
4. بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، 1970-1983، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د.ط)، (د.ت)
5. حازم القرطاجي، مناهج البلقاء وسراج الادباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتاب الشرقية، تونس 1966
6. روجر آلن، الرواية العربية، مقدمة تاريخية نقدية، ترجمة قصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، (د.ط)، 1997
7. زينب الأعوج، السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان بيروت، ط1، 1985
8. مفدي زكريا، اللهب المقدس، شاعر الثورة الجزائرية، ط4، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1883
9. مفدي زكريا، إيادة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر

ج-المراجع

10. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الآداب، ط2، كانون الثاني(يناير) 1997

11. احمد توفيق المدني، كاتب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، وحدة الرعاية، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)،
12. الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980، ديوان مطبوعات الجامعية، الجزائر (د.ت)، (د.ط)
13. الأعرج وسيني، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1986
14. إيميل ناصيف، أروع ما قبل في الأمثال، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط 1، 1994
15. باشلار جاستون، جماليات المكان تر: غالب هلسا، المؤسسة الوطنية الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 2، 1984
- 16- بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، ج 1 ، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010
- 17- بوجردة رشيدة فوضى الاشياء، نقلا عن المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق، الجزائر، ط 2. 2009.
18. بوشوشة بن جمعة، اتجاهات في الرواية في المغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر، تونس، 1999
19. تركي رابع، الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرعاية، الجزائر، 1985
20. ختام نعمانة، كتاب روايتان للكاتبة "احلام مستغانمي" ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، مجلة الصبار.
21. رابع خدوسي، حيزية، مع قصائد وقصص أخرى، نماذج من روائع العرب، المؤسسة الثقافية للتأليف والنشر الجزائر، (د.ط)، 1993
22. سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات الكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 1967

23. سليم ناصر بركات، مفهوم الحرية في الفكر العربي الحديث، مؤسسة الوحدة للصحافة والنشر والطباعة 1982
24. سمير ابو حمدان، النص المرصود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 (1410-1990) هـ
25. شريط احمد شريط سمائية الشخصية الروائية، تطبيق آراء فليب هامون على شخصيات رواية غدا يوم جديد، عنابة، الجزائر، د.ط 1995
26. صالح خرفي الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، مطابع الشروق، بيروت، لبنان، (د.ت) 1984
27. صالح مفقود، نصوص اسئلة، دراسات في الادب الجزائري، منشورات اتحاد كتاب العرب الجزائريين الثلاثي الثاني، دار هومة ط1، 2002
28. صالح مفقودة، فصل المرأة في الرواية الجزائرية، دار الهدى للطباعة، الجزائر، ط1، 2003
29. طه وادي، دراسات في النقد الرواية، دار المعارف، مصر، الطبعة3، 1991
30. طه وادي، صورة المرأة في الرواية العربية، دار المعارف، ط4، 1994
31. عبد الحميد هيمة ، الصورة الفنية في الخطاب الشعري المعاصر
32. عبد الحميد هيمة، البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر، - نقلا عن ديوان الضمأ العاتمي منشورات رابطة الإبداع
33. عبد الحميد هيمة، الصورة الفنية في الخطاب الشعري المعاصر، دراسة نقدية، دار هومة للنشر (د.ط)، 2005
34. عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1978
35. عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية للكتاب، د.ط، 1988م،
36. عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (د.ط)، 1978

37. عبد الله الركيبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، مطبعة القلم تونس، 1883
38. عبد المجيد هيممة، الصور الفنية في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر "دراسة نقدية"، دار الهومة للنشر (د.ط)، 2005
39. عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د.ط)، 2004
40. عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، (1931-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط) 1983، الجزائر
41. عبد الملك مرتاض، في نظرية بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، د.ط، 1978م
42. عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (د.ط)، 1978
43. عبد الملك مرتاض، دراسة سمبائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي"، ديوان المطبوعات الجامعية (د.ط)، (د.ت)
44. عثمان لوصيف، غرداية، دار هومة، الجزائر، ط1، 1997
45. عمار زعموش، الخطاب الروائي في ذاكرة الجسد (د،ط)، (د،س)
46. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ط1
47. محمد التونجي، الاداب المقارنة، دار الجبل، ط1، 1995
48. محمد سفوح الاخرص، المرأة والتحويلات الاقتصادية والاجتماعية، ط 1987، لدار طلاس للدراسات والترجمة
49. محمد صالح الجابري، الادب الجزائري المعاصر، ط1، 1426-2005 للنشر والطباعة، دار الجبل، بيروت البوشرية، شارع الفردوس
50. محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1983
51. مصطفى عبد الغني، قضايا الروائية العربية، الدار المصرية اللبنانية، (د،ط)، (د،ت)،

52. مصطفى فارسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصب للنشر، الجزائر، (د.ط)،
 53. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1،
 1994،
 54. نبيلة زويش، تحليل الخطاب السردي في ضوء المنهج السينمائي، منشورات دار
 الاختلاف، الجزائر، ط: 2003

المجلات والرسائل:

55. ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مادة س-ط-ر، المجلد: 4، ط1، 1994
 56. اميمة الدهان، المرأة والتنمية في الثمانينات في بحوث ودراسات، مجلد2، مؤتمر
 الإقليمي الثاني للمرأة في الخليج والجزيرة العربية، 28/31 مارس 1981، اعداد ونشر
 د. يحيى فارس الحداد، الكويت، 1982
 57. الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، رئيس التحرير الدكتور- صالح
 خريفي، ع: 16 رجب- شعبان 1393هـ، أوت-سبتمبر 1973
 58. صالح مفقودة، قسنطينة والبعد الحضاري للمكان، مجلة العلوم الإنسانية، ع13، 2000
 59. الطاهر روائية، الفضاء الروائي في الجازية والدرأويش ل"عبد الحميد بن هدوقة"،
 دراسة المبني والمعنى
 60. عبد الحميد الهيمة، الرمز الصفي المغربي المعاصر، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة،
 (د،ط)، 2005
 61. عبد السلام صحراوي، الأناقة والإغراء في لغة أحلام مستغانمي، مجلة الثورة، ع: 27،
 د،ت
 62. عمار زعموش، الخطاب الروائي في ذاكرة الجسد لاحلام مستغانمي من نقد الواقع إلى
 البحث عن الذات، مجلة الثقافية وزارة الاعلام والاتصال، جامعة قسنطينة ، ع:
 144، 1997،
 63. فريد نقاش، قراءة نقدية في ذاكرة الجسد، مجلة العربي، ع. 457-1996، 1996

64. كريش شايد، الحي اللاتيني بعد 70 ألف نسخة، الجنس، الكذب، الابداع، مجلة الادب، بيروت-لبنان ع. 09-10، 2000
65. مجلة الثقافة، ع: 16، رجب شعبان 1393هـ، أوت، سبتمبر 1973
66. مصطفى السعدني، التغريب في الشعر العربي المعاصر بين التجريب والمغامرة، قراءة في النص، قسم اللغة العربية، كلية الأدب، جامعة بنها، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ط)، (د.ت)،
67. الملتقى الخامس لابن هذوقة، اعمال وبحوث
68. يوسف حي، الإنسان والارض، مجلة آفاق عربية، ع: 09، 1979.

الصفحة	العنوان
	الشكر
	الإهداء
أ	مقدمة
	المدخل ماهية الصورة لغة واصطلاحا
02	-المرأة والمجتمع
04	-المرأة والدين
06	-المنهج الدراسي لتعليم المرأة الجزائرية
07	-دور المرأة والضمير الوطني
	الفصل الاول: صورة المرأة في الادب الجزائري
10	المبحث الأول: صورة المرأة في الشعر الجزائري
10	1- المرأة الوطن
14	2- المرأة المجاهدة المناضلة
18	3- المرأة الحرة والمرأة الحبيبة
23	المبحث الثاني: صورة المرأة في النثر الجزائري
24	1-القصة
28	2-المسرحية
30	3-الرواية
	الفصل الثاني: صورة المرأة في رواية ذاكرة الجسد
40	-الروائية في اسطر
42	-ملخص الرواية
46	المبحث الأول: جماليات رمزية المرأة
48	جماليات رمزية المرأة في رواية ذاكرة الجسد
51	المبحث الثاني: توظيف التراث الشعبي

51	1- التراث الأدبي
52	2- الأمثال الشعبية
56	3- الأسطورة
	الفصل الثالث: جماليات الشخصية النسوية في رواية ذاكرة الجسد
63	المبحث الأول: انواع الشخصيات في الرواية حسب دراسة فليب هامون
63	1- الشخصيات المرجعية
68	2- الشخصيات الواصلة
70	المبحث الثاني: بنية الشخصيات في المكان الروائي ذاكرة الجسد
71	1- الاماكن المغلقة
73	2- الأماكن المفتوحة
75	المبحث الثالث: بينية الشخصيات في الزمن الروائي ذاكرة الجسد
75	1- الزمان
76	2- مفارقة الاسترجاع السرد الاستذكارى
76	3- احداث 08 ماي 1945
81	خاتمة
84	قائمة المصادر والمراجع

ملخص:

أحلام مستغانمي استطاعت الربط بين المرأة والمدينة وأحيانا أخرى بين المرأة والوطن الجزائر ويتراءى لنا ذلك من خلال التسمية متشابهة لأن كلاهما اسم مفرد يدل على الجمع الجزائر، أحلام - نجد تقاطع كبير بين شخصية أحلام البطلة وشخصية أحلام الروائية.

- الربط بين مخاطبة المرأة والمدينة واضح تماما وتدعمه الكاتبة بإجراء شبه مقارنة بين الاثنين استنادا إلى بعض الأقوال الأدبية المأثورة.

- اتخذت الروائية من البطلة أحلام صورة لمدينة قسنطينة أو لنقل رمز لقسنطينة بما فيها ومن فيها، بحاضرها وماضيها ومآتمها وأعراسها، وأولياءها، ومن خلال هذه الصورة قدمت لنا وصفا دقيقا ومفصلا لهذه المدينة فهي عينة لتصوير الوضع الاجتماعي والسياسي للبلاد.

أما بالنسبة لشخصيات الرواية وخاصة النسوية منها والتي أخذت حيزا معتبرا من الدراسة، وما يلاحظ أن الكاتبة كانت جد دقيقة وبارعة في اختبار شخصياتها.

وتوظيف التراث الشعبي ما هو الا دلالة واضحة تعكس لنا مدى تمسك الكاتبة لهذا التراث القسنطيني الجزائري وحنينها إليه.

الكلمات المفتاحية: أحلام مستغانمي - المرأة - المدينة - أحلام الروائية

Abstract :

Ahlam Mostaghanemi was able to link the woman and the city, and at other times, between the woman and the homeland, Algeria, and it appears to us through a similar designation, because they are both a single name that denotes the combination of Algeria, Ahlam - we find a great intersection between the heroic dreams personality and the character of the dreamer novelist. The link between addressing a woman and the city is quite clear and the writer supports him by making a similar comparison between the two based on some literary sayings. The protagonist took from the heroine Ahlam a picture of the city of Constantine or to convey a symbol of Constantine, including its present, past, funeral, and weddings, and its guardians, and through this image it provided us with an accurate and detailed description of this city as it is a sample to depict the social and political situation of the country.

As for the characters of the novel, especially the feminist ones, which took a significant part of the study, what is noticed is that the writer was very accurate and proficient in testing her characters. The employment of folklore is a clear indication that reflects the extent of the writer's adherence to and craving this Algerian heritage, Constantine.

Key words: Mostganem ahlem, the woman, the city, the novelist's dreams